مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ



جمع وترتيب

حسام خليل

قدم له أ.د\ عبد الباسط محمد السيد
عضو المجلس الأعلي للشؤون الإسلامية
رئيس جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة
بمكة المكرمة

مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ

الزمر -٢٣

العقيد حسام خليل

فكرات وملامح بلاغية حول المتشابهات القرآنية

وبعض اللطائف والتوجيهات الإيمانية

"مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصــباح، فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرءوا ما في الكتاب".

إياس بن معاوية

(مقدمة تفسير القرطبى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام علي سيد ولد ادم وعلى آله وصحبه وسلم:

وبعد،،،،،

قرأت أكثر من مرة كتاب " متشبهاً مثاني"

لسيادة الأخ العقيد/ **حسام خليل**، وهو جهد طيب وعظيم ولا أكون مغالياً لو قلت إنه في كثير من المواضع تعجز كلماتي عن حمل المعاني وذلك لأن القرآن الكريم لا تفني عجائبه ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد.

ويكفي أن القرآن الكريم يأتي يوم القيامة بكراً وكأنه لم يفسر، كل إنسان فسر حسب استقرائه.

اسأل الله أن يجعله في ميزان حسنات من رتب وصنف، وإن شاء الله يكون هذا بداية لمحاولات أخرى كثيرة.

أ.د/ عبد الباسط محمد السيد

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس جمعية الاعجاز العلمي للقرآن والسنة

أستاذ التحاليل الطبية بالمركز القومي للبحوث

مقدمة

الحمد لله المنان، مترل الفرقان على نبيه العدنان، بلسان عربي يعجز عن وصفه البيان.

الحمد لله مترل القرآن على خير الأنام (ﷺ) الذي كان يقرأ سورة (قٓ) على المنبر فيستمع إليها الصحب الأخيار فيفهموا معناه ولغته وفصاحة لسانه، فتقشعر جلودهم وتهتز قلوبهم لسحر بيانه، فيكفيهم ذلك موعظة فترة من الزمان.

أما وقد آل حال تلكم اللغة الباسلة الآن مع أبنائنا لما يندى له الجبين خجلاً، فمع الدعوة إلى إحلال العامية مكان هذه اللغة العظيمة ودخول بعض المصطلحات المبتذلة في اللغة، فقد أصبحنا كالأعاجم، فقد يُقرأ القرآن علينا كاملاً فلا يتحرك لنا ساكن إلا من رحم ربي، **ولكن المصاب فينا لا في تراثنا** ا.هـ.[1]

لذلك كثر بعد القرون الخيرية الأُوَلْ مثل هذه الكتب التي بين يديْ القارئ الكريم الآن والتي تبحث في علوم القرآن، ولكن الأصل أن مرجع هذه العلوم هو كتاب الله؛ لذلك يقول الله تعالى:

﴿... وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ آل عمران -٧.

(١) كتاب كيف أتوب؛ للشيخ محمد حسين يعقوب، ص١٢.

وما هذه إلا اجتهادات وفواتح ربانية وإلهامات يمن الله بها على من يشاء ولا حرج على فضله سبحانه، فالله يرزق من يشاء بغير حساب.

عندما تناولت الكتب المصنفة في مجال متشابهات القرآن، وجدت أن منها ما قد تُوسِعَ فيها وجُعِلَ منه أجزاء كل جزء منها متخصص في بعض الأمور، ومنها على سبيل المثال كتاب (كنوز قرآنية للدكتور/ هشام الزهرى) وهذا الكتاب شبه موسوعة قرآنية من أربعة أجزاء، تم إفراد الجزء الأول منها ليتناول حروف الجر في القرآن وترتيب الألفاظ والسور، ودلائل القرآن الكونية والفقهية، والقَسَم في القرآن، ثم تناول في سائر الأجزاء الرسم العثمانى والحروف المقطعة في فواتح السور، ثم تناول في الجزء الأخير أمرَ المتشابهات القرآنية وبعض المعانى الإيمانية والتوجيهات البلاغية في الآيات، فمثل هذه الكتب أرى أنها موسوعة يُخاطَبُ بها متخصصون في مجال القراءة والإقراء، لذلك راعيت في هذا البحث – منعاً للتكرار الممل أو الاختصار المخل - تصنيف بحث يُخاطِبُ من هو على أول الدرب من طلاب حلقات تحفيظ القرآن كدليل معاون على الحفظ، وقد تعمدت أن أراوح بين دفتى الكتاب على ذكر بعض اللطائف واللُمح البلاغية والإيمانية ومسائل أخرى يندر ذكرها ومعرفتها، منعاً للرتابة والملل، ونوعاً من التشويق لطلاب القرآن وحِلَق التحفيظ، وهذا هو الغالب على معظم مادة الكتاب، وقد أتعرض في بعض الأحيان القليلة في الكتاب إلى الإطناب في ذكر بعض الشروح للآيات، وبعض دقائق الأمور في التجويد والنحو التى جاءت في كتاب الله على سبيل الحصر، وذلك لطالب العلم المتخصص، وأيضاً لإضفاء معانٍ جديدة للقارئ، (وهذا هو مناط البحث في هذا الكتاب).

متشابه القرآن في أعمال السابقين [١]:

أشار أبو جعفر بن الزبير الغرناطى [٢] رحمه الله في كتابه (***مِلاك التأويل***) إلى أن هذا المجال أغفله الأئمة المصنفون في تفسير القرآن و لم يقرعه ممن تقدم وسلف أحد إلا ما كان من كتاب (*درة التنزيل وغرة التأويل*) **للخطيب الإسكافى** [٣]، وممن صنف في هذا الباب الكرمانى [٤] في كتابه (*البرهان*)، وقد نظم **السخاوى** [٥] علم المتشابه في منظومته (***هداية المرتاب في المتشابه***) المعروفة بالسخاوية، وذكر السيوطى في الإتقان أن للقاضى بدر الدين **بن جماعة** [٦] كتاباً لطيفاً سماه (***كشف المعانى في متشابه المثانى***).

---

(١) مقدمة كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطى (ج١/ص١٠٥) – باختصار.

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير، يكنى بأبى جعفر، عاش بغرناطة وتوفى بها ٧٠٨ هـ.(الذهبى فى تذكرة الحفاظ ج٤/ص١٤٨٤).

(٣) لعله أول من أفرد فى علم المتشابه بالتصنيف، كما ذكر صاحب كتاب ملاك التأويل، توفى ٤٢٠ هـ.(ج١/ص٣).

(٤) محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، الشافعى، ويعرف بتاج القراء (برهان الدين، أبو القاسم) مقرئ، مفسر، فقيه، نحوى، صرفى، توفى بعد سنة ٥٠٠ هـ.- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة (ج١١/ص١٦١).

(٥) هو من الباحثين فى علم متشابه القرآن توفى ٦٤٣ هـ– (كتاب المتشابه اللفظى فى القرآن للدكتور رشيد الحمداوى).

(٦) هو شيخ الإسلام / بدر الدين بن جماعة (المتوفى ٧٣٣ هـ) تم نشر الطبعة الأولى لكتابه عام ١٤١٠ هـ.بمعرفة دار الوفاء بالمنصورة.

أسباب تصنيف هذا البحث

تفكرت فيما بين يدىّ من أعمال أستطيع أن أقول: (اللهم إنى أسألك وأتقرب إليك بكذا...) فلم أجد إلا أعمالاً معيبة مجروحة وكبوات كثيرة، وتذكرت قول المصطفى (ﷺ) في الحديث الذي رواه أبو هريرة: (إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)،[١] ثم قلت لنفسى ويحك كيف ترتقين هذا المقام الصعب؟ وكيف تتطلعين لهذا المنصب الرفيع؟ إنما ذلك شأن أرباب البصائر المستنيرة والهمم العالية والقلوب المخبتة، ولكن اعلمى أنه لا حرج على فضل الله، فإنه سبحانه يعفو وقد يعفو عن الكثيف والكثير، ويمهل وكأنه يهمل فترى أيدى العصاة مطلقة، وكأنه لا مانع لهم، فإذا أخذ، أخذ أخذ جبار، وإذا أخذهم لم يفلتهم، فكما أنه يعفو عن الكثيف فإنه أيضا يأخذ باليسير، فرجوت الله أن يفتح لى الباب فأدخل متطفلاً مع الداخلين، ثم بدأت البحث فيما أستطيع طرقه من أبواب العلم فتبين فقرى الشديد في هذا الأمر، إلا أننى تذكرت فترة دراستى بمعهد أُبَىّ بن كعب لعلوم القرآن على يد شيخنا وأخينا العزيز الشيخ محمد حسن[٢]، فأذن الله أن يكون هذا البحث في المتشابهات بفضل الله.

---

(١) صحيح مسلم (ج٢/ص١٢٥٥).

(٢) (مقدم برنامج لرواية ورش بالفضائيات، والمجاز فى الروايات العشر الكبرى والصغرى فى سن مبكرة من عمره) والذى أكن له عظيم القدر بما نفعنى الله به على يديه التجويد من علوم القرآن والتى لم يبخل بشيء منها على طلابه، فقد استقينا منه مسائل ندر وقل أن يعرفها إلا خبير خاصة فى مجال التجويد والمتشابهات.

الآيات المتشابهات من منظور اللغة والبلاغة

إذا ذكر الله سبحانه وتعالى آية في موضع في كتابه العزيز ثم أعاد الآية بتمامها أو باختلاف في حرف أو كلمة أو مقطع من الآية، فإن هناك حكمة تُطلب ويُبحث عنها، كما قال **الفضيل بن عياض** لطلبة العلم حين وقفوا ببابه: (**لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة**) [1].

وعندما بدأت في المحاولة الأولى لحفظ كتاب الله الكريم وذلك عام ٢٠٠٥م ومع الرحلة الممتعة مع سور القرآن من سورة الناس حتى وصلت إلى سورة الأعراف وجدت تشابهاً شديداً في قصص الأنبياء، وقد استوقفني هذا بعض الشيء في الحفظ، ومع الأخذ في الاعتبار قول الله سبحانه: **﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ القمر- ﴿١٧﴾**، أدركت أن الأمر يحتاج توفيقاً وفتحاً من الله وإخلاصاً ومجهوداً يجب أن يُبذل في هذا الأمر، فبدأت ببعض التفسيرات حتى وصلت إلى بعض المفسرين الذين اعتنوا بالناحية البلاغية والنحوية واللغوية في الآيات، وقد نفعني في ذلك تفسير الأئمة الأعلام رحمهم الله جميعاً ومنهم: **الزمخشرى** و**النسفى** و**الألوسى** و**القشيرى** و**إسماعيل حقى الإستانبولى**- تفسير روح البيان- و**الرازى** و**ابن عاشور** و**الشعراوى** (**مع الاحتراز من أمر العقيدة عند بعض هؤلاء العلماء العظماء**)، ولكن ما يعنيني هو الإشارات النحوية والبلاغية لهؤلاء العلماء في أمر الآيات المتشابهات.

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج١/ ص٢٢).

ثم تطرقت لكتب المتشابهات فتبين لى أن هناك مدرستين في أمر المتشابهات:

المدرسة الأولى:

قام أصحاب هذه المدرسة بسرد المتشابه مجرداً من الأسباب اللغوية والبلاغية تيسيرًا على من أراد الحفظ، ومن هؤلاء من زاد على ذلك فقام بوضع مفاتيح وعلامات للقارئ لمساعدته على الحفظ، مثل كتاب (دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ، تأليف يحيى عبد الفتاح الزواوى).

أما المدرسة الثانية:

فهم أصحاب مقولة: (**إذا ذكر الله سبحانه آية في موضع في كتابه العزيز ثم أعاد الآية بتمامها أو باختلاف في حرف أو كلمة أو مقطع من الآية فإن هناك حكمة تُطلب ويُبحث عنها**).

فبدأت الاهتمام بهذا الأمر وتدوين هذه المعلومات في هوامش المصحف، ولكن خوفاً من فقد هذه النســـخة والتى أدون فيها ما تحصلت عليه من فوائد راودتنى فكرة تدوين هذه الملاحظات، وهى مجرد خواطر قمت بجمعها لنفسى أولاً تثبيتاً للحفظ، ثم وجدت لزاماً عليَّ نشرها لتعم الفائدة، وهى ليست تأويلاً لكلام الله وإنما مجرد منارات على الطريق لأهل القرآن، وكما قال الإمام مالك:

العلم صــــيــد والكتــابــة قيــده   قيـِّـدْ صـــُيُودَك بـــالحبـــال الموثقه

وقال آخر:

وما من كاتب إلا سيبلى ويُبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتـــب بكفــك غير شـــيء يسرك في القيامة أن تراه[1]

ولولا هذا الأمر لما تجرأت على أن أسطر ما جمعته من كتب العلماء الأفذاذ، فما أنا إلا متسلق على أكتاف العلماء ومتطفل على هؤلاء العظماء.

أيضاً من الأسباب المهمة لهذا البحث في المتشابهات

*– قول **إياس بن معاوية**: مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرءوا ما في الكتاب[2].

*– عن **محمد بن عبد الرحمن بن زيد** قال: (**قال أبو بكر وعمر** رضى الله عنهما: **لَبعضُ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه**)[3].

*– قال **الحسن البصري** رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ**

---

(١) أورده صاحب تفسير روح البيان (ج ١٠ /ص٤٧٠).

(٢) مقدمة تفسير القرطبى (ج١/ص٢٦).

(٣) مقدمة تفسير القرطبى (ج١/ص٢٣).

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ ص- (٢٩)، **قال: (والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله وما يرى له القرآنُ في خلق ولا عمل)**[١].

وجدير بالذكر قول **القرطبي**[٢] في قول الله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ النساء - (٨٢)؛ حيث قال: دلت هذه الآية على وجوب التدبر في القرآن لِيُعرف معناه، فكان في هذا رد على فساد قول من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النَّبِيِّ (ﷺ)، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب، وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد، وفيه دليل على إثبات القياس.ا.هـ.

فائدة هامة ذكرها الغرناطي في مسألة المتشابهات:

ذكر **الغرناطي في** كتابه ملاك التأويل فائدة عن سبب ورود القصة الواحدة بأكثر من سياق وتعبير ومترادفات، وذلك في خواطره حول **قصة موسى عندما آنس ناراً حيث وردت في** (طه/النمل/القصص) بصيغ مختلفة فقال الغرناطي:

من المعلوم –بإعلام الله سبحانه– أنه تعالى لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه، فموسى، عليه السلام، إنما خاطب أهله في هذه المحاورة باللسان العبراني (الذي هو لسان قومه)، وجل كلام ربنا عن الحرف والصوت والتقييد بالجملة، فالوارد في كتابنا

---

(١) تفسير ابن كثير (ج٤ /ص٣٢).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (ج٥/ص٢٩٠).

إنما هو حكاية المعنى الذي خوطب به موسى، عليه السلام، وخاطب به، واللسان العبرانى أقرب الألسنة إلى اللسان العربى، فما المانع أن يجرى فيه ويطرد كل ما في اللسان العربى من الضروب المذكورة قل أو كثر ذلك[1].

قلت والله أعلم:

أى قد يكون مراد **الغرناطى** رحمه الله حتى لا يخلو كتاب الله من لهجات ولغات العرب ولسان القبائل المختلفة فيقولون: (ما بال هذا الكتاب خلا من هذا النوع من البلاغة) ومثال لذلك قول الله في سورة طه ﴿**قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ**.... ﴾ طه - ﴿٦٣﴾ باعتبار **(إِن)** مثقلة في بعض الروايات القرآنية، ومن المعلوم أن اسم (إن) يُنصب، فما باله هنا رُفع بالألف...؟ والغرابة أن القرآن قد استخدم هنا لغة تهامة التى تلزم المثنى ألف الاثنين بغض النظر عن موقعها من الجملة كما قال الشاعر العربى:

وَاهــاً لِســلْمى ثُمَّ وَاهَــا وَاهــا ... يــا ليــْت عينــاهــا لَنــا وَفــاهَا

هــِيَ المــُنــَى لَوْ أَنَّنــا نِلْنــاهــا ... ومَوْضــِعِ الخُلْخــال من قــَدمــاهَا

إنَّ أبــَاهــَا وأبــَا أَبــَاهــَا ... قــَدْ بلغــا في المجــْدِ غــَايتــا هَا

---

(١) ملاك التأويل للغرناطى (ج٢/ص٣٣٣).

قلت:

أما قول الغرناطى رحمه الله: (وجل كلام ربنا عن الحرف والصوت والتقييد بالجملة.[1]

فما ندين به لله كما هو عند أهل السنة والجماعة (**أنهم يثبتون القرآن لله صفة كمال وعظمة وجلال، تكلم به سبحانه بصوت وحرف – لكن ليس بصوت ولا حرف مثل حروف البشر– سمعه منه جبريل وسمعه النَّبِى من جبريل وسمعه الصحابة من النَّبِىُّ** (ﷺ)[2])، ولا أدرى: هل مراد الغرناطى رحمه الله خلاف ذلك أم لا.

الأقوال المأثورة عن السلف الصالح إلهام جاءهم من القرآن والسنة:

إنك إذا تتبعت الكثير من الأقوال المأثورة عن السلف الصالح وأصحاب البصائر المستنيرة فستجد أن معظم هؤلاء قد استنبطوا هذه المأثورات نتيجة فتح ربانى وفهم دقيق وتدبر عال لآيات الذكر الحكيم، فما من أحد يدلي بدلوه في بحار العلم إلا وله شاهد ودليل من القرآن أو السنة، وانظر –على سبيل المثال لا الحصر– إلى مقولة **أبى زيد** التى أوردها **القرطبى في** تفسيره والتى اقترنت بشدة بآيات القرآن وما فيها من تقديم وتأخير بلاغى معجز.

غلطت في أربعة أشـــياء: في الابتداء مع الله تعالى، ظننت أنى أحبه فإذا هو أحبنى، قال الله تعالى: ﴿...يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ...﴾ [المائدة: ٥٤]. وظننت أنى أرضى عنه فإذا هو قد رضىَ عنى، قال الله تعالى:﴿ ...رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ...﴾ [المـائـدة: ١١٩]. وظننـــت أنى أذكره فـــإذا هو يـــذكرنى، قال الله تعالى:

---

(١) كتاب ملاك التأويل (ج٥/ص٣٣٣).

(٢) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية، للعلامة صدر الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ص ١٢١) – بتصرف.

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.[العنكبوت: ٤٥] وظننت أني أتوب فإذا هو قد تاب على، قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨].[1]

(١) تفسير القرطبى، (ج٨ /ص٥٩٩).

فائدة مهمة في قواعد الفتح على الإمام

ممن تكلم في قواعد الفتح على الإمام وكما يدعى بعض أئمة المساجد (أنه إذا اختلطت عليه القراءة في الصلاة باستخدام لفظ مكان آخر وكان اللفظان قريبين في المعنى بأن ذلك لا يضر بالصلاة، وأنه لا يتعين على المأموم رده أو الفتح عليه لدعواه سالفة الذكر، وأنه إذا رده مأموم فإن المأموم يعرض صلاته للبطلان)[1]؛ ولكن من خلال ما وقفت عليه أثناء البحث في المتشابهات واستناداً إلى ما قاله الكثير من العلماء: (ما من حرف في القرآن يقال: إنه زائد [2]) فلكل حرف علة وحكمة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها[3]، وقد رد فضيلة الإمام الشعراوي رحمه الله على من قال: (ما زائدة)، فقال في حقه: إذا كنت لا تعلم فقل: لا أعلم، ولا تفتِ بغير علم.

وقال الإمام الرازى: (ونحن نقول بأن كل كلمة وردت في القرآن فهي لمعنى، وكل ترتيب وجد فهو لحكمة) [4].

---

(١) فتاوى مركز الفتوى بموقع الشبكة الإسلامية بإشراف: د.عبد الله الفقيه (رقم الفتوى ٦٢٦٢٩، بتاريخ ٢٢ ربيع الثانى ١٤٢٦، الفتح على الإمام بين الوجوب والجواز).

(٢) ذكر د/محمد إبراهيم الحفناوى – أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة فى أكثر من موضع فى تحقيقه لتفسير القرطبى، فقال: (هكذا قال أكثر المفسرين – يقصد قولهم بوجود حروف زائدة مثل (ما) و(من) – ولكننا نتره كلام ربنا عن هذا الزعم) ا.هـ. (ج٩/٢١).

(٣) قال الشيخ عيد حسن: الكلام عن الترادف فى القرآن قد جوزه بعض العلماء بحجة أنه من الممكن أن يقوم لفظ مكان آخر؛ بحيث يؤدى معناه، مثل (هلم، أقبل، تعال، أسـرع، عجل)، ولكن الجمهور على أنه ليس هناك ترادف فى القرآن الكريم، وأنه لا توجد لفظة تؤدى نفس المعنى للفظة القرآنية، ومنهم من استدل على عدم وجود الترادف فى القرآن الكريم بقوله: سبحانه فى سورة النجم: (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ) النجم -﴿٢٢﴾، أى جائرة، فهذه اللفظة غريبة فى صياغتها فلا توجد لفظة تؤدى معناها على الإطلاق.

(٤) تفسير الرازى، (ج٢٥/ص١١٤).

لذلك أعتقد –والله أعلم– استناداً إلى قول الله تعالى: ﴿...وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ **فصلت -** ﴿٤٢﴾. فإن زيادة أو نقصان حرف واحد في الآية قد يؤدى إلى معنى مختلف تماماً عن مراد الله، مثال لذلك:

﴿لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ **وَمِنۡهَا** تَأۡكُلُونَ﴾ **المؤمنون-** ﴿١٩﴾.

﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ **مِّنۡهَا** تَأۡكُلُونَ﴾ **الزخرف -** ﴿٧٣﴾، بدون حرف الواو وبإفراد فاكهة.

الأولى جنات وفواكه الدنيا فهناك محذوف تقديره (ومنها تعصرون وتتخذون سكراً وتخزنون..) أى أن أغراضها متعددة، لذلك أتى بالواو.

أما آية الزخرف فهى فاكهة **الآخرة**، وفى الآخرة أنت في غنى عن عمل كل هذا، فكل ما تشتهيه تجده أمامك بلا عناء فلا تحتاج أن تعصر أو تتخذ سكراً كما في فاكهة الدنيا فلم تُذكر الواو، والله أعلم[1].

---

(١) أسرار البيان فى التعبير القرآنى، لفاضل السامرائى، (ج١/ص٤).

مسألة بشأن أسئلة المسابقات القرآنية

كثيرًا ما تجد في بعض مسابقات القرآن من يقوم بتوجيه أسئلة إلى الحُفاظ تحتوى على الكثير من المخالفات الشرعية والتكلف، ناهيك عن أنها توهم غير مراد الله من الآية، وذلك بزعم اختبار قوة حفظ الطالب، وقد أغلظ بعض العلماء في الرد على هؤلاء، فمما يُذكر من هذه الأمثلة -وهذا على سبيل المثال- لا الحصر- فالبدع في هذا المجال لا حصر لها:

تجد من وجَّهَ سؤالاً إلى الطالب، يقول له أكمل من قول الله:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ....﴾ **النور - ﴿١٩﴾.**

وهذا مشابه تماماً لمن قال: ﴿**فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ**﴾ الماعون - ﴿٤﴾، ثم قطع القراءة، فهذا قد اقتطع شطر من آية النور ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ**﴾ **النور -** ﴿١٩﴾ وهذا الأسلوب **في** الأسئلة لا يستقيم، لقول الله ﴿**إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ**﴾ **الطارق-** ﴿١٤﴾

ولكن هناك مواضع في القرآن لم تأت إلا مرة أو مرتان أو ثلاثة و لم تتكرر على مدار القرآن، وعند ذكرها فهناك غرض منها وتبحر بنا إلى مرفأ وغاية بلاغية أو إضافة معنى للآية، مثال لذلك قوله سبحانه: ﴿**..ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ**

عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ....﴾ القصص - ﴿٨٢﴾ مع ملاحظة أن قوله: (..ٱللَّهَ- جاءت بفتح هاء لفظ الجلالة).

هذا مقطع من آية لم يأتِ إلا في موضع واحد ليس له ثانٍ في القرآن، وذلك في سورة القصص على لسان قوم قارون: ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ ۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ القصص - ﴿٨٢﴾.

هناك لطيفة في هذه الآية:

إن هذا السياق في الحديث عن بسط الرزق مطلقاً دون تقدير أو تضييق لم يأتِ إلا هنا مع قصة قارون، لذلك ذكر (مِنۡ عِبَادِهِ) مع البسط و لم يذكر لفظ (لَهُ) مع يقدر(سيأتى ذكر تفصيل ذلك والحديث عن الرزق في القرآن وأنه على ثلاثة أشكال).

أما ما ذكرناه آنفاً فلا يحرى بنا إلى مِرفأ وليس إلا تكلف قد يوقع صاحبه في المحظور، والله أعلم.

منهجى في إعداد البحث

أولاً:

قدمت لهذا البحث بمسائل عدة تضمنت أسباب تصنيف الكُتب التي على شاكلة هذا البحث، ثم أشرت إلى أعمال السابقين في هذا المضمار، كما تطرقت إلى أسباب إقدامى على إعداد البحث، ثم ذكرت مسائل متفرقة خاصة بأقوال السلف الصالح وعلماء السنة في بعض المسائل المتعلقة بعلوم القرآن؛ من حيث أهمية العلم بتفسيره وإعرابه، وفقاً لما أجمع عليه علماء الأمة من أهل السنة.

ثانياً:

قمت بتناول ما يسره الله لى من الآيات التي تكررت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، سواءً في مقطع أو كلمة أو حرف من الآية، وقمت بالنظر في تفسير هذه الآيات معتمداً على بعض التفاسير المشار إليها سالفًا والتي يعتمد أصحابها على إظهار أوجه البلاغة في القرآن والإعجاز في اختيار الألفاظ.

ثالثاً:

قمت بتتبع هذه الآيات في كتب المتشابهات القرآنية المشار إليها (بملحق المراجع)، فكنت أجد أحيانًا أكثر من تأويل منها ما ذُكر مختصراً يسهل على العامي فهمه، ومنها ما جاء مفصلاً تفصيلاً بلاغياً، والغالب على مادة هذا البحث إلا ما ندر منه، أني أقوم بذكر الشروح الميسرة، إلا في بعض المواضع القليلة؛ فقد أقوم بنقل ما جاء مفصلاً تفصيلاً مطولاً، وذلك حتى تعم الفائدة على الجميع سواءً من هو على أول الدرب، أو مِن أهل التخصص.

رابعاً:

بعد ذكر ما ورد على لسان أهل العلم بشأن المتشابهات، أقوم في بعض الأحيان القليلة بذكر بعض ما يعن لى حول هذه الآيات، وهى مجرد لُمح ومنارات وضعتها لنفسى أولاً لضبط الحفظ وتيسيره، وهى ليست بتأويل لكلام الله، وقد قمت بعرضها على أهل العلم لضبطها، ثم رأيت إضافتها لهذا البحث عسى أن يُنتَفَعَ بها، فما وجده القارئ من هذه المسائل مخالفاً للقرآن والسنة وإجماع علماء الأمة فليطرحه – وقد قمت بوضع ما أذكره من مسائل تحت بند (قلت):

خامساً:

رأيت أن أقوم بتقسيم هذا البحث إلى مبحثين حيث يتناول **المبحث الأول:** بعض المسائل والفرائد التي يندر ذكرها في كتاب الله وأيضاً بعض اللطائف البلاغية والتوجيهات الإيمانية في بعض الآيات، وقد أتطرق قليلاً إلى مسائل في التجويد أو النحو ندر أن تُذكر في الكتب وذلك كنوع من التشويق والإثارة لما في هذا الكتاب الكريم من أوجه إعجاز لا تنفد ويعجز عن وصفها البيان، لذا سوف أحاول بهذه الأنامل الضعيفة والأفكار البسيطة أن أطوف حول هذا القرآن المجيد راجياً من الفتاح القدير سبحانه وتعالى أن يفتح لنا فتوح العارفين.

أما **المبحث الثاني: الذي** هو صلب هذا البحث ومادته الأساسية، فقد تناولت فيه ما تيسر من سور القرآن منفصلة حيث أقوم بذكر ما وفقني الله في تحصيله وجمعه من مسائل في بعض آيات السورة، ثم يلي ذلك ذكر ما تشابه من آيات هذه السورة مع سائر سور القرآن الكريم.

سادساً:

فى معرض الحديث عن الآيات المتشابهات قد تعرض مسألة في التجويد أو قواعد النحو في ذات الآية، فأقوم بذكر هذه المسألة كنوع من الترويح على القارئ، وقلما يتكرر هذا في البحث.

سابعاً:

قمت بتخريج الأحاديث النبوية، كما قمت بتحقيق ما ذكرته من أقوال الأئمة المفسرين، مع ذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة.

ثامناً:

قمت بالتقديم بالترجمة للأئمة وللعلماء الذين استعنت بكتبهم في إعداد البحث.

تاسعاً:

قمت بتقديم نسخة من البحث إلى فضيلة الشيخ/ محمد جبريل للتفضل بتقييم البحث وضبطه، وذلك لكون فضيلته من أهل التخصص والأداء العالى في القرآن؛ فإذ به يقول لى كلمة لا أنساها ما حييت قال: (لكل فن أهله، وأفاد بأنه سيكلف أحد أهل التخصص بعملية المراجعة والضبط؛ حيث عهد بالبحث للشيخ عيد حسن، الذي قام بأمر الضبط والمراجعه بشكل عام حيث أرشدنى إلى بعض التعديلات الهامة في ضبط البحث، وقد استغرق ذلك زمانًا، وقد ذكرنى هذا بقصة الإمام المزنى مع شيخه الإمام الشافعى حين عرض عليه رسالته ثمانين مرة وفى كل مرة يرده الإمام رحمه الله بملاحظات، وذلك حتى لا يصح إلا كتاب الله سبحانه.

المبحث الأول

بعض المسائل والفرائد التى جاءت على سبيل الحصر في كتاب الله، وبعض اللطائف البلاغية والتوجيهات الإيمانية وبعض أسرار الرسم العثمانى في بعض الآيات [1]:

ذكر **علي بن نايف الشحود في** كتابه (الإعجاز اللغوى والبيانى في القرآن الكريم) بعض المسائل نذكر بعضها (بند ١حتى ٥):

١- ٱلۡمِيعَادَ – ٱلۡمِيعَٰدِ:

وردت كلمة (**ٱلۡمِيعَادَ**) وذلك بألف صريحة في وسط الكلمة خمس مرات في القرآن الكريم كله... وكلها تتكلم عن الميعاد الذي وعده الله.. لذلك جاء هذا الميعاد واضحاً وصريحاً ولا ريب فيه..

ونذكر فيما يلى الآيات الكريمة التى وردت فيها كلمة (**ٱلۡمِيعَادَ**):

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ آل عمران - ﴿٩﴾.

(١) من أراد الزيادة فى علم الرســـم فليرجع إلى: كتاب: الإعجاز اللغوى والبيانى فى القرآن الكريم لعلى بن نايف الشحود الباحث فى القرآن والسنة، هذا الكتاب قد جمع المصنف فيه ما تناثر من الإعجاز اللغوى والبيانى مما كتب على الشـــبكة العنكبوتية (الإنترنت) وقد بلغت حوالى مائة وأربعين بحثا لعلماء أجلاء معاصرين، فجزاهم الله خير الجزاء على هذه الأبحاث، إسهاماً منهم فى توضيح فكرة الإعجاز اللغوى والبيانى فى وقت أصبح فيه كثير من العرب – قبل العجم – لا يدركون معناها بسبب بعدهم عن جوهر دينهم ولغتهم.

﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ آل عمران - (١٩٤)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ الرعد - (٣١)

﴿لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ سبأ - (٣٠)

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ الزمر - (٢٠)

غير أن هذه الكلمة وردت مرة واحدة فقط وذلك برسم يختلف بدون ألف صريحة على شـــكل (ٱلۡمِيعَـٰدِ) وذلك حين نُسب هذا الميعاد إلى البشر حيث قال تعالى: ﴿..وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَـٰدِ..﴾ الأنفال - (٤٢)[1].

٢- حيَّة/ثعبان:

إن كلمة (حيَّة) لم تُذكر في القرآن إلا مرة واحدة عندما أمر الله موسى أن يلقى العصا وهو في الوادى المقدس، فتحولت إلى حية تسعى، وجاءت هذه الكلمة مناسبة للموقف، أما كلمة (ثعبان) فقد تكررت في القرآن كله مرتين فقط، وفى كلتا المرتين كان الحديث عندما ألقى موسى عصاه أمام فرعون، وكانت هذه الكلمة هى المناسبة في هذا الموقف؛ لأن الثعبان أكبر من الحية وأكثر إخافة لفرعون.

ونســـتطيع أن نستنتج أن **الله تعالى** – دقيق جداً...!؟- في كلماته وأن الكلمة القرآنية تأتى في مكانها المناسب، ولا يمكن إبدال كلمة مكان أخرى؛ لأن ذلك سيخل

(١) هذه الناظرة قد أوردها المؤلف فى كتابه وعزاها إلى (المهندس محمد شملول) مهندس مدني وكاتب إسلامي مصري.

بالجانب البلاغى والبيانى للقرآن الكريم الذي قال الله عنه:

﴿...وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَـٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت- ﴿٤٢﴾ [1].

قلت:

قول مصنف الكتاب: (الله تعالى دقيق جداً في كلماته): هذا التعبير لا يستقيم مع العقيدة، لأننا لا نصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه فنقول: (**إن كلام الله معجز وغالب غير مغلوب**) ا.هـــ.

٣- مسألة في كلمة (يَـٰعِبَادِىَ):

جاء في القرآن في موضعين لا ثالث لهما قوله سبحانه: (يَـٰعِبَادِىَ) – بإثبات الياء- والألف الخنجرية.

الأولى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ العنكبوت- ﴿٥٦﴾

الثانية: ﴿قُلۡ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الزمر- ﴿٥٣﴾.

---

(١) الإعجاز اللغوي والبياني فى القرآن الكريم علي بن نايف الشحود (ج١/١٨٨) وعذاها الي (عبد الدائم الكحيل).

ومن المعلوم في اللغة أن **الزيادة في مبنى الكلمة تدل على زيادة في معناها**: لذلك قد تكون في الأولى زيادة في الأنس والمودة؛ لأن النداء على المؤمنين، أضف إلى ذلك ختام الآية بقوله: (**فَٱعۡبُدُونِ**)، للتأكيد على أن شرط المهجر الأمان على الدين والعبادة، وقد تكون في الثانية فيها نوع من الزيادة في الترغيب في التوبة والأنس؛ لأن النداء على من أسرف على نفسه، والله أعلم.

إذا تتبعت الرسم العثماني لكلمة (**يَٰعِبَادِيَ**) ستلاحظ أن (**يَٰعِبَادِيَ**) جاءت مرسومة بالألف الخنجرية (أى الألف الصغيرة خلاف الألف الصريحة أو الفارقة)، وهذا زيادة في خطاب الود والقرب بين الله وعبده فجاءت كلمة واحدة متصلة خلاف قوله: (**عبادى**) في سائر القرآن بالألف الفارقة التى قسمت الكلمة إلى جزءين، ولله مراد في هذا لا يعلمه إلا هو سبحانه، وهذه مجرد خواطر.

٤- لطيفة في كلمتى (قُلۡ /ٱقۡرَأۡ):

إن الله سبحانه قد خاطب نبيه في كثير من مواضع القرآن بقوله: (**قل**)، إلا إنه سبحانه في أول كلمة نزلت على الرسول (ﷺ) لم يقل له: **قل** ولكن خاطبه بقوله: (**ٱقۡرَأۡ**)، فما الحكمة من ذلك..؟

ذكر العلامة **ابن المبارك** نقلاً عن العارف بالله شيخه **عبد العزيز الدباغ**؛ إذ يقول في كتابه (الإبريز) ما نصه: (رسم القرآن سرٌّ من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة وهو صادرٌ من النَّبِيِّ (ﷺ)، وهو الذي أمر الكُتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة،

فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النَّبِيِّ (ﷺ)، وما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النَّبِيِّ صلوات الله وسلامه عليه، **قلت والله أعلم**: هو توفيقى من لدن منزل الكتاب - سبحانه - وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على هذه الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدى إليها العقول، وهو سر من الأسرار خصَّ الله تعالى به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه معجز، وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس، لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الربانى، فهى بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التى في أوائل السور، فإن لها أسراراً عظيمة ومعانى كثيرة، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعانى الإلهية التى أُشيرَ إليها، فكذلك أمرُ الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف.

قال الإمام الرازى: **(إن كل حرف وكل كلمة وكل حركة في القرآن الكريم لها فائدة)**(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: **(تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف، أو غير ذلك)**(٢).

وإنه لِمَّا يطمئن له القلب ويرتاح له الفكر أن الرسول (ﷺ) أملى كُتابَهُ الرسم القرآنى حسب الرسم المنزل عليه والذى نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام، ومما يؤيد ذلك أن أول كلمة قرآنية نزلت على الرسول (ﷺ) كانت (**ٱقْرَأْ**)، وهى تعنى اقرأ القرآن من الكتاب، حتى إنَّ الرسول الأكرم ردّ على جبريل عليه السلام قائلاً: **(ما أنا**

(١) الإعجاز اللغوي والبياني فى القرآن الكريم، لعلي بن نايف الشحود، (ج١/ص٤).

(٢) الإعجاز اللغوي والبياني فى القرآن الكريم، لعلي بن نايف الشحود، (ج١/ص٤).

بقارئ)، ولو كان قرآناً فقط لكانت أول كلمة هي: **قل**.

٥- لطيفة في كلمتي (بِسۡمِ - بِٱسۡمِ):

وردت كلمة **(بِسۡمِ)** ثلاث مرات في القرآن **(بخلاف فواصل السور)**:

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ **الفاتحة - ١.**

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ ﴾ **هود - ٤١.**

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **النمل - ٣٠.**

كما وردت كلمة (بِٱسۡمِ) **أربع مرات في القرآن:**

الموضع الأول ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ **الواقعة - ٧٤**

الموضع الثانى ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ **الواقعة - ٩٦**

الموضع الثالث ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ **الحاقة - ٥٢**

الموضع الرابع ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ **العلق - ١**

ما الحكمة من ذكر كلمة (**بسم**) **في** الحالات الأولى بدون ألف، في حين وردت في الحالات الأخرى كلمة (**باسم**) كاملة بدون قصر....؟

إن حذف الألف من كلمة (**بسم**) والتي جاء بعدها لفظ الجلالة (الله) يدل ويوحى بأنه يجب علينا الوصول إلى الله سبحانه وتعالى (؟) [1] بأقصر الطرق وأسرع الوسائل وهو ما

---

(١) قمت بحذف هذا المقطع من كلام المؤلف لعدم وضوحه (وعمل الصلاة معه).

يدل عليه ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ **[الفاتحة: ٦]**، وهو الذي يوصل بأسرع وأقصر الطرق... والحرف الوحيد الذي يمكن حذفه من كلمة (**باسم**) دون تغيير نطق الكلمة هو حرف الألف.. لذا فقد تم حذفه للتوجه إلى الله – وأخذ البركة منه.!؟[١] – **في** أى عمل نعمله بأسرع ما يمكن وبأقصر طريق... ولفظ الجلالة (الله) هو العلَم على الذات الإلهية ولا يشاركه فيه أحد.. أما في الحالات الأخرى والتي ورد فيها (باسم) فإنها كلمة بين الله سبحانه وتعالى وخلقه – **قلت** أي مشتركة بين العبد والخالق فقد يستخدم لفظ الرب مع رب البيت؛ فقد جاء في الآية (٤٢) من سورة يوسف قوله للساقى: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ **يوسف- ﴿٤٢﴾**[٢].**ا.هـ.**

٦- لطيفة في كلمة (دياركم/ داركم):

جاءت كلمة (**دياركم**) **في** القرآن بالجمع وجاءت بالإفراد (**داركم**):

قال فيها **فضيلة الإمام الشعراوى** وغيره إن انتشار الصوت في الفراغ يكون أشد، لذلك إذا وجدت كلمة (الصيحة) في القرآن فاعلم أنه لا بد أن يأتى معها كلمة (دياركم) بالجمع، فالصيحة من السماء وانتشار الصوت في الفراغ أعم، أما إذا وجدت الرجفة فأعلم أن معها (داركم) بالإفراد لأنها في الأرض، فالانتشار أقل، والله أعلم.

٧- لطيفة في كلمة (يس / طه)

من اللطائف أيضًا التى قالها **القرطبى** ويمكن أن تستدل بها على بطلان من قال إن (**يس/طه**) من أسماء النَّبىِّ (ﷺ) أن هذه الحروف المقطعة حروف مبنى وليست حروف معنى، أى أننا ننطقها في حال الوصل ساكنة وغير منونة، ليتضح لك ذلك اقرأ وصلاً

---

(١) قلت: لا أعلم ما هو مراد المؤلف من هذه الجملة، وهل تنضبط شرعا أم بها شيء من الصوفية.

(٢) الإعجاز اللغوي والبياني فى القرآن الكريم، لعلي بن نايف الشحود (ج١/ص٥).

قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾.

ستجد أن كلمة (**يسٓ**)، لم ترد رواية قرآنية بتحريك السين بالضمة، ولكن عند حفص وحمزة وابن كثير وأبي عمرو وقالون جاءت بالإظهار (يس والقرآن /ن والقلم)، وأما في بعض الروايات القرآنية الأخرى فجاءت بالإدغام، فلو كانت (**يسٓ**) اسم لتحركت بالضم مثل (يوسفُ)، والله أعلم.

قال الشاطبي رحمه الله: وَيس اظْهِرْ عنْ فَتى حَقُّهُ بَدَا وَن وَفيهِ الْخِلْفُ عَنْ وَرْشِهِمْ خَلاَ.

٨- لطيفة حول قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾

قيل والله أعلم: وردت ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ في أهل الجنة ثماني مرات في القرآن الكريم ووردت في أهل النار ثلاث مرات؛ وهذا من رحمته سبحانه وتعالى؛ لأن رحمته سبقت غضبه، والخلود عند العرب تعني المكث الطويل وليس بالضرورة المكث الأبدي[1].

٩- لطيفة:

من المواضع التي لم تتكرر في القرآن إلا في موضعين (**الرعد/الزمر**) ويصعب الإتيان بها إلا من الماهر في الحفظ قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ **الرعد-** ۝١٦.

(١) لمسات بيانية، للدكتور فاضل السامرائى، (ج١/ص٤٣١).

وفى الموضع الثانى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ الزمر – ﴿٦٢﴾.

فموضع الزمر معروف، أما موضع الرعد فلوجود قبله كلمة (قُل) يصعب الإتيان بها لأن ألف لفظ الجلالة لا يُنطق به حال الوصل وتسقط في هذا الموضع، (**أى إنها تسقط وصلاً**)، والأُذُنُ معتادة السماع واللسان أيضاً على نطقه (ٱللَّهُ خَٰلِقُ) بتحريك الألف بالفتح حال الابتداء، فهذه من اللطائف خاصة في اختبار الحفاظ فاذكرها[١].

١٠– لطيفة حول سورة التكوير:–

ذكر الله في صدر السورة اثنتي عشرة علامة ست منها في الدنيا وست، في الآخرة فهذه علامة وفائدة للحفاظ فاعلمها[٢].

١١– لمحات مع اسم الله العليم واسم الله الحكيم[٣]:

إن لكل اسم من أسماء الله الحسنى عبودية خاصة بهذا الاسم، الأمر الثانى أن الله إذا قرن اسمين من أسمائه الحسنى فهذا التركيب له عبودية أخرى[٤].

---

(١) ذكرها الشيخ صلاح صالح، حلقة القرآن بمسجد الخلفاء الراشدين، السادس من أكتوبر.

(٢) أيسر التفاسير بتصرف، (ج٢/ص١٧٣١).

(٣) من كلام فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب فى الدرس المتمم للمائة –المتربون الجدد، المدرسة الربانية، بتاريخ الأربعاء ٢٠١٣/٣/٢٨، وإضافات من كتاب فقه الأسماء الحسنى للشيخ عبد الرزاق البدر، بتصرف.

(٤) فقه الأسماء الحسنى، للدكتور عبد الرزاق البدر، (ص٥٠) بتصرف.

تجد في القرآن اسم الله العليم والحكيم، وقد يتقدم اسم على الآخر في مواضع والعكس في مواضع أخرى، وبعمل إحصاء في فهرس كلمات القرآن تبين لي -والله أعلم- الآتى:

١-العليم الحكيم (٤ مرات). ٢-الحكيم العليم (مرتان لا ثالث لهما).

٣-حكيم عليم (٥ مرات). ٤-عليم حكيم (١٥ مرة).

٥-عليماً حكيماً (١٠ مرات).

٦- عندما تتبعت كلمة (حكيماً عليمًا) **في القرآن تبين لى -والله اعلم- أنها لم تذكر في كتاب الله.**

ذكر فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب فائدة في تقدم وتأخر الاسمين (عليم وحكيم) تفيد أن الله حكيم في علمه وعليم في حكمته.

قلت والله أعلم:

فقد تجد في البشر صاحب علم غزير ولكنه يفقد الحكمة في استخدام هذا العلم.

وقد تجد صاحب حكمة بالفطرة (ذكاء طبيعى فطرى) ولكنه لم يصقله بالعلم.

١٢- تكرر في القرآن الفعلان (جاء وأتى) **فإذا تتبعتهما ســـوف تجد والله أعلم أن جاء يكون أقوى في التعبير أو مع الأمور التى لها وقع قوى** (**إذا** جاءت **الطامة**/ **إذا** جاءت **الصاخة**/ وجاء **ربك والملك**....)

أما (أتى) فتكون مع الأمر اليسير.

فإذا سأل سائل عن قوله:

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ النحل- ١

فالأمر هنا منسوب إلى الله سبحانه، وهذا يكفى، ويتضح ذلك أيضاً مع قوله:

﴿ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٦٣ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ الحجر - ٦٤.

١٣- في لغـة العرب: يجوز حذف المضــاف إليه للعلم به مثل قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ القصـص - ٤٤، أى جانب الطور الغربى.

وأيضاً من قواعد البلاغة في اللغة أن يُحذف الموصوف وتأتى صفته مثل كلام العرب: (استل الصارم) أى السيف الصارم.

١٤- السر في رقم أربعين:

قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ المائدة - ٢٦.

إذا تأملت هذه الآية وإلى جوارها قوله: ﴿..حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ...﴾ الأحقاف - ١٥.

فما الحكمة من أن الله كتب عليهم التيه في الصحراء أربعين سنة...؟

قيل والله أعلم:

حتى يكون آخر رجل في العهد القديم - الذين عصوا موسى فأدخلهم الله التيه- يكون هذا الجيل قد مات في التيه وولد جيل جديد تربى لمدة أربعين عاماً وهو السن الذي قال فيه الله ﴿..حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً..﴾ (الأحقاف - ﴿١٥﴾) يكون هذا الجيل قد تربى تربية إيمانية ربانية على يد يوشع غلام نبيُّ الله موسى تربية تهيؤهم لدخول الأرض المقدسة.

١٥- قوله: ﴿.. سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة - ﴿٣١﴾، **الوحيدة في القرآن بهذا السياق غير مقرونة بقوله:** (وتعالى) أو (سبحان الله).

جوابه:

انظر البند (١٣) سورة التوبة.

١٦- إذا سألت أحدًا: هل الجهاد بالمال أشد أم الجهاد بالنفس..؟

كل الناس تقريباً سيقولون: الجهاد بالنفس أصعب وأشق.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ التوبة - ﴿٢٠﴾.

إذا تتبعت الجهاد **بالمال والنفس** في القرآن ستجد أنه قد ذُكر **تسع** مرات، **خمس** مرات في التوبة وأيضاً في النساء والأنفال والحجرات والصف.

في كل هذه المواضع تقدم المال على الجهاد، إلا في موضع واحد في القرآن هو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ (التوبة – ١١١). فالله لا يعنيه النفس ولا المال[1].

١٧– ورد في القرآن لفظ: (يعملون/يفعلون/يصنعون)، فحتى لا يحدث لك إشكال في ذلك، فاعلم أن كل ما جاء في سورة يوسف هو (يعملون) ولم يرد فيها يفعلون أو يصنعون.

١٨– ذُكر اسم الله (ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ) –الذى وردت بعض الأحاديث– بأنه الاسم الأعظم للملك سبحانه، ورد في القرآن في ثلاثة مواضع هي: (البقرة/ آل عمران/ طه).

١٩– في سورة النور لفت نظر شديد لأهمية اتباع الرسول وطاعته (ﷺ) في آيات متصلة؛ وذلك في قوله:

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) د. راغب السرجاني، (محاضرة الجهاد بالمال).

ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا
تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ
وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا
ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن
كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ النور

وقد جاء ذلك على نمط لم يتكرر في أى موضع من القرآن، فتأمله، والله أعلم.

٢٠- من المواضع التى هى على سبيل الحصر في القرآن وجاءت في سورة القصص:

(ثُمَّ هُوَ): **لم تأتِ في القرآن إلا في هذا الموضع في القصص** في قوله:

﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ القصص-﴿٦١﴾.

وكما عند النحاة فإن (هو) قد يأتي (ضمير فصل) ليوضح أن ما بعده خبر وليس صفة، ولكنه في هذا الموضع مبتدأ.

٢١- لطيفة في الإعراب في سورة العنكبوت:

قوله: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ العنكبوت- ﴿٢٥﴾

كلمة (مَّوَدَّةَ) لماذا لم تنون بالنصب بل تحركت بالفتح....؟ وذلك في بعض الروايات.

قلت والله أعلم:

(مودة) مفعول لأجله منصوب بالفتحة (مضاف) ومعلوم أن المضاف لا ينون لأنه مُعرف ومن العلامات الخمس التي تميز الاسم كما قال **ابن مالك**: التنوين، وهو يلحق النكرات، فكيف يجتمع متضادان (**علامة تعريف وتنكير**) على معمول واحد؟ لذلك تحركت بالفتح، علماً بأنها وردت في روايات قرآنية أخرى بغير الفتح.

٢٢- بعض الفوائد في سورة العنكبوت:

قوله ﴿..فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ العنكبوت - ﴿٣٨﴾

وفى الآية التي تليها قوله: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾

العنكبوت - ﴿٣٩﴾

ما الحكمة من ذكر قارون قبل فرعون وهامان و لم يتكرر ذلك في القرآن؟

الإجابة والله أعلم:

ذكر **القرطبي** أن قارون كان ممن يقرءون التوراة وعلى علم بها لذلك كان مستبصراً فجاء بكلمة مستبصرين وقال بعدها: (وَقَـٰرُونَ...) [1]

٢٣- هل هناك فرق بين الذين عملوا الصالحات، وعباد الله الصالحين...؟

ذكر ابن القيم أن ثمة فرق بينهما، وتجد ذلك في قول الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ العنكبوت - ٩

اللهم أدخلنا وأهلينا برحمتك في عبادك الصالحين.

٢٤- لطيفة في الوقف والابتداء

قوله: ﴿..فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم - ٤٧

(كان أبو بكر رضي الله عنه يقف على كلمة (حَقًّا) ثم يستأنف فيقول: (عَلَيْنَا: نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [2].

٢٥- الموضع الوحيد في القرآن الذي جاء فيه: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة - ٢٠)

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي، (ج١٣/ص٣١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (ج١٤/ص٤٣).

في هذا الموضـــع الاسم الموصول (ٱلَّذِى) عائد على العذاب، أما في المواضع الأخرى ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى﴾ الضمير عائد على النار، أجارنا الله منها.

قلت والله أعلم:

إذا تتبعت سياق الآيات تجد أن مادة الفعل (**ذاق**) ورد في السورة ببعض تصريفاته **أربع مرات**:

(**فذوقوا بما نسيتم/ وذوقوا عذاب الخلد/ ذوقوا عذاب النار/ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى..**)

فناسبه والله أعلم أن يعود الاسم الموصول على العذاب.

٢٦- مسألتان حول قوله سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

المسألة الأولى: ورد هذا النداء في القرآن (٩٠ مرة)دائماً يكون أول الآية و لم يأت في وسط آية إلا مرة واحدة في القرآن في موضع الأحزاب وهو قوله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب - ﴿٥٦﴾.

قلت:

قــد يكون –والله أعلم– أن الله ســـبحانه وتعالى قَبْلَ ندائه على المؤمنين بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾، ذكر ســـبحانه وتعالى شأنه أنه يصلى على النَّبِيِّ وأيضاً الملائكة تصلى على النَّبِيِّ.

*- ســـورة واحدة في القرآن افتتح الله أولها بهذا النداء وختم الســـورة بالنداء و لم يأتِ هذا إلا في سورة الممتحنة.

٢٧- ذكر الله العزة ببعض بمشتقاتها خمس مرات في سورة (ص)، وجاء في قوله سبحانه حكاية عن إبليس:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص - ٨٢)، ولم تتكرر بهذا السياق في سائر القرآن فهذه علامة فلا تنسها.

٢٨- ملحوظة في التجويد:

قوله: ﴿..تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾

الحشر-.١٤

انتبه إلى أن (شَتَّىٰ) غير منونة إنما تنتهى بالألف المقصورة، فاحذر حال وصلها أن تنوها، وكثيراً ما يخطئ فيها من لا ينتبه إليها.

٢٩- الآية (١٩) من سورة المجادلة، هى الموضع الوحيد في القرآن الذي ذُكر فيه كلمة الشيطان في آية واحدة ثلاث مرات وهى قوله سبحانه:

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ المجادلة -١٩

٣٠- الموضع الوحيد في القرآن الذي جاء فيه قوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ المنافقون - ٦

وفى غيره والله لا يهدى القوم الفاسقين.

قلت والله أعلم:

لاحظ أن هذا السياق جاء على سبيل الحصر في هذا الموضع فقط، وأداة التوكيد أيضاً جاءت مناسبة لاسم السورة ووصف حال المنافقين وبيان وتأكيد فسقهم.

٣١- ثلاثة مواضــــع في القرآن أُمر فيها النَّبِيِّ صلي الله عليه وسلم أن يقسم بالله (سورة يونس /سورة سبأ/سورة التغابن):

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ يونس - ﴿٥٣﴾.

﴿... قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ..﴾ سبأ - ﴿٣﴾.

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ التغابن

٣٢- **قوله:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التحريم - ﴿٧﴾.

لم ترد في القرآن إلا في هذا الموضع.

قلت والله أعلم:

سمعت من بعض أهل العلم أن النداء من الله سبحانه وتعالى على الكفار قد تكرر في القرآن كثيرا والله أعلم (٨٣ مرة) كلها في الدنيا ، أما في الآخرة فلم ينادى الله عليهم إلا في هذه المرة وتأمل كيف توسط هذا النداء ندائين –قبله وبعده– على المؤمنين، وذلك لزيادة الحسرة والتنكيل بهم [١].

٣٣- قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ الأعلى- ﴿٧﴾، **معلوم أن الإعجاز في علم الله بالسر وعلم ما يخفى، ولكن ما الإعجاز في علم الجهر:**

تكلم **فضيلة الإمام الشعراوى** رحمه الله في هذا فذكر مثالاً بمظاهرة في حشد من الناس بالآلاف وكل واحد يتكلم بكلمة، فهل يستطيع أحد أن يُرجع كل صوت إلى صاحبه وينسبَ كل كلمة إلى قائلها؟ لا يستطيع ذلك إلا الملك سبحانه، وهذا هو وجه الإعجاز[٢].

٣٤- لقد أقسم الله أحد عشر قسمًا متتاليًا ما أتت إلا في موضع واحد في كتابه الكريم؛ أن فلاح النفوس بتزكيتها، قال تعالى:

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾

وهي ركن ركين في دعوة نبينا (ﷺ)، بل هى ربع الرسالة المحمدية[٣].

أيضاً قال سبحانه عن التزكية:

---

(١) قال محمد بن أحمد الشربيني صاحب تفسير السراج المنير أن هذا النداء فى سورة التحريم إنما يقال لهم يوم القيامة، ثم لا يكون رسولاً إليهم فأزال الواسطة فيكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره تعالى بلفظ الماضي (ج٤/ص ٤٣٨)

(٢) خواطر الشعراوى، (ج١٨/ص١٠٩٩٦).

(٣) كتاب حلية طالب القرآن (ص٨).

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ البقرة

انظر البند الأول في سورة البقرة.

٣٥- لطائف مرتبطة بسورة العلق:

إن ركعات الصلاة تبدأ كل ركعة بالقراءة ثم تنتهى بالسجود، وما أشبه هذا بأول ما نزل في القرآن في سورة العلق، فبدأت بالقراءة فقال: (**اقرأ**) وانتهت بالسجدة(١).

٣٦- كثيراً ما نستعمل عبارة (شُيع إلى مثواه الأخير) وهذا خطأ لأن المثوى الأخير هو دار القرار إما جنة وإما نار، وأنت حين تذهب في زيارة تمكث قليلاً ثم تقوم لذلك قال الله: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ التكاثر ﴿٢﴾ -(٢).

٣٧- سر هذا الترتيب لسور الهمزة/الفيل /قريش:

فى آخر سورة الهمزة ذكر الله وصف النار، وهذا من الأمور الغيبية فأعقبها بأمر مادى تعلمه قريش وشاهدته وهو حادث الفيل، وهذا يكثر في القرآن أن يأتى بالأمر المشاهد ليستدل به على غير المشاهد، ثم جاء بعد سورة الفيل بسورة قريش، إن حرف اللام في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ هذه لام العاقبة كما يسميها النحويون فقد حفظ الله البيت لتظل المهابة لقبيلة قريش ولمكة؛ لأن مكة ستكون مبعث النَّبىِّ (ﷺ)، أو أن الله حفظ لهم مهابتهم وتجارتهم فذلك يقتضى منهم عرفاناً بالجميل ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ

(١) سليمان الخراز مقدم حلقات (كيف تتلذذ بالصلاة).

(٢) هذه الناظرة لها شاهد قريب من المعنى من كلام فضيلة الإمام الشعراوى رحمه الله في كتابه، تفسير جزء عم، (ص٥٠٨).

خَوۡفِۭ﴾ قريش- ﴿٤﴾[1].

٣٨- قول الله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا...﴾ الشورى - ﴿٧﴾

من المعلوم أن المنطقة التى تتوسط رأس الإنسان يطلق عليها: (**أم رأسه**) لأنها تقع في مركز يتوسط الرأس.

وقد اكتشف علماء الجغرافيا أن مكة المكرمة تقع في مركز يتوسط الكرة الأرضية، وذلك نسبة إلى المحور الوهمى لدوران الأرض، فهذا من الإعجاز العلمى للقرآن الذي لا تنتهي عجائبه.

ويذكر أن كلمة (أم) جاءت في القرآن مضافة إلى ثلاثة أشياء (أم الكتاب /أم موسى/ أم القرى).

٣٩- قوله: ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ﴾ / ﴿يَقۡضِى بَيۡنَهُمۡ﴾[2]

فيه مسألتان: **المسألة الأولى:** ما الفرق بين يفصل ويقضى؟

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ - السجدة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِى بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ - الجاثية.

لو قرأنا الآيتين تتضح الإجابة وذلك في قوله:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرۡيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ

(١) تفسير جزء عم لفضيلة الإمام الشعراوي -بتصرف- (ص٥٨٤).

(٢) د/فاضل السامرائى، لمسات بيانية، (ج١/ص٢٦).

وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ - السجدة.

يقول المفسرون: يفصل بين الأنبياء وأممهم؛ لأن السياق بين المؤمنين والكافرين؛ وذلك في سورة السجدة في قوله:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ السجدة - ﴿٢٥﴾.

صـــاروا أمتين جماعة بني إســـرائيل نبيهم موسى آتيناه الكتاب وأنت أيضاً يا محمد آتيناك الكتاب فصاروا ملّتين مختلفتين

آية الجاثية ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٧﴾ – **الجاثية.**

الاختلاف بين بني إسرائيل في ملة واحدة: **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾**،

أما في آية السجدة الاختلاف بين أمم مختلفة، أوعلى الأقل بين أمة الإسلام وبني إسرائيل أما آية الجاثية فالفصل بين ملة واحدة مختلفة فيما بينها.

المسألة الثانية:ما دلالة ضمير الفصل (هو) في آية السجدة؟

أيّهُما يدعو إلى الاختلاف أكثر والتوكيد، بين مِلّة واحدة أو ملل مختلفة؟

الإجابة: إن التباين بين الملل المختلفة أكثر من التباين بين أصحاب الملة الواحدة.

فلما كان بين ملل مختلفة قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أكّد بضمير الفصل.

ولما كان بين ملة واحدة قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ و لم يأت بـــ (هو).

٤٠- مسألة بشأن الأسرى:

قال صاحب كتاب **التفسير الحديث**[١]:

وإذا لُوحظ أن عادة اســـترقاق أسرى الحرب التي كانت عامة في جميع الأمم والبلاد كانت المصدر الرئيسي لعادة الاسترقاق الإنساني التي ظلت جارية في كثير من البلاد الإسلامية مدة طويلة إلى عهد

(١) التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، (ج٨/ص٣٠٨).

قريب، حتى أن كلمة (الأسير) جاءت في آية قرآنية مرادفة للمملوك، وذلك في قوله:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان - ﴿٨﴾.

ثم إذا لوحظ أن آية سـورة محمد: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا...﴾ محمد - ﴿٤﴾ هي التي احتوت تشريعاً مطلقاً فيما ينبغي عمله في الأسرى وأن هذا التشـريع هو المنّ أو الفداء، ظهرت لنا عندئذ روعة هذا التشـريع بتوجيهه ضربة حاسمة إلى هذه العادة. ا.هـ.

قلت والله أعلم:

لقد ذكر الله سـبحانه في كلمات ما يتحدث عنه الغرب بشأن حقوق الأسرى والإنسانية والرحمة والاتفاقيات المبرمة بين الدول التي تنظم حقوق الأسـرى، جاء ذلك موجزًا في كلمات يعجز عن وصفها البيان.

٤١- مسألة بشأن قوله:

﴿فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ النمل- ﴿١٢﴾

وقـولـه: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ القصص - ﴿٣٢﴾

في النمل قال[١]: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾

---

(١) د/فاضل السامرائي، لمسات بيانية، (ج١/ص٧٨).

في القصص قال: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾

إذن، في النمل أعطاه تسع آيات وفي القصص آيتين، لما كان المقام مقام ثقة وقوة وسّع الأمر، أما في القصص فقد ذكر اليد والعصا، إذن نلاحظ في مقام الثقة والقوة وثِقل التكليف وسّع الآيات وجعلها تِسع آيات وجعلها إلى فرعون وقومه: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾.

ولكن لما كان المقام مقام خوف ضيّق المهمة ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَـٰنَانِ﴾.

لفظ (ذلك) يكون المشار إليه مفرد والمخاطَب مفرد في الغالب، ولفظ (ذانك) يكون المشار إليه اثنين والمخاطَب واحداً.

في النمل قال: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾، وفى القصص قال:﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾، المهمة أوسع فتبليغ القوم أوسع، بلّغ كل القوم، أما الملأ فهم خاصة الملك وهى الحاشية، فلما كان المقام ثقة كلّفه بتبليغ الرسالة للعامة والخاصة، لكن كل واحدة تتناسب مع الحالة، بينما ذكر هنا (الملأ) وهناك (القوم)؛ لأن السياق غير السياق والمقام غير المقام، اتسعت الآيات فاتسع المُبَلّغ، وليس في هذا تعارض بالمرة مع الأمر لموسى أن يبلغ الرسالة، وهو مكلف بالملأ ومكلف بالقوم، لكن الله سبحانه يذكر ملمحاً خاصاً في كل سورة.

٤٢- ما دلالة استخدام (ما) أو حذفها في قوله تعالى: ﴿حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم﴾ **وقوله:** ﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾؟[١]

قال تعالى في سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَـٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فصلت -٣٠.

---

(١) د/فاضل السامرائى، لمسات بيانية، (ج١/ص٥٤٩).

فهذا من غرائب الأمور أن يشهد السمع والبصر والجلود على الناس، ولذا اقتضى استخدام (ما) للتوكيد، أما في سورة الزمر فقد جاءت الآية ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ سورة الزمر: ٩١، وهنا الأمر عادى إذا جاءوا فُتحت الأبواب.

٤٣- إشارة بلاغية في القرآن إلى السفن وتطورها:

قوله سبحانه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ الشورى - ٣٢

أي: كالجبال، وكأن الحق سبحانه وتعالى يُعطينا الدليل على عِلْمه تعالى بما سيصل إليه العالم من تقدم، وما ستصل إليه صناعة السفن من رقيّ يصل بها إلى أنْ تكونَ كالجبال، وإلاّ ففي زمن نزول القرآن لم يكُنْ هناك بوارج عالية كهذه، إنها لم توجد إلا بعد قانون أرشميدس الذي تُبْنَى على أساسه هذه البوارج(١).

وأيضاً قوله سبحانه: ﴿..وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾ غافر-٨٠، معلوم أننا نركب في السفينة كما جاء في سورة هود: ﴿..قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا..﴾ هود-٤٠

ولم يقل: احمل عليها، قيل: لأن الحق سبحانه يعطينا مراحل تطور السفينة، فسفينة نوح كانت سفينة بسيطة، فأراد الحق سبحانه أن يعلمنا أن صناعة السفن سوف تتطور، ويكون بها طوابق متعددة

---

(١) خواطر الشعراوى، (ج١٤/ص٨٦٧٤).

فنركب عليها[1].

٤٤- لقطات من الإعجاز العلمى في القرآن بشأن كلمة المعارج:

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ الزخرف - ٣٣

ذكر فضيلة الشيخ الشعراوى رحمه الله أنه سأل أثناء إحدى الزيارات إلى مدينة سان فرانسيسكو عن تاريخ ظهور المصاعد فأخبروه أن ذلك منذ قرابة خمسين عامًا، فرد عليهم: لقد أخبرنا الله عنها في القرآن منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان [2].

٤٥- إشارة بلاغية في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ الحشر - ٩

أى: لزموا الدار ولزموا الايمان فلم يفارقوهما. ويجوز أن يكون تبوأ الايمان على طريق المثل، كما تقول: تبوأ من بني فلان الصميم. والتبوء: التمكن والاستقرار[3].

قلت والله أعلم:

هذا فن من فنون اللغة والبلاغة، وكأنهم اتخذوا الإيمان دار لهم سكنوا واستقروا فيه.

---

(٢) خواطر الشعراوى (ج٢١/ص١٣٤٦٢)

(٢) خواطر الشعراوى، (ج٢١/ص١٣٤٦٣).

(٢) أحكام القرآن للقرطبى، (ج١٨/ص٢٠).

٤٦- لفتة بلاغية وإشارة إلى أن القرآن لا يخضع لقافية شعرية:

إن المتأمل في سورة الحجر سوف يجد أن آياتها تسع وتسعون، إحدى وثمانون آية تنتهى بالنون، فقد يسأل سائل عن قوله سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ الحجر - ٧٤

لماذا جاءت كلمة (مِّن سِجِّيلٍ) والتى تنتهى بحرف اللام ولم تأتِ كلمة (حِجَارَةً مِّن طِينٍ) والتى تنتهى بحرف النون، كما في الذاريات حتى تنسجم مع غالب آيات السورة التى تنتهى بحرف النون.

قلت والله أعلم:

إن كلام الله غالب غير مغلوب ومعجز ولا يعجزه شيء، ولا يخضع لوزن شعرى أو قافية بلاغية، إنما هو كلام الله المتحدى بأقصر صورة لفصحاء العرب، فعجزوا أمامه، فالإجابة ﴿...سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة - ٣٢).

وهذه علامة صعبة المستخرج فاعلمها.

٤٧- مسألة بشأن السمع والبصر في القرآن وتقديم أحدهما على الآخر.

قال الإمام الشعراوى رحمه الله: (دائمًا القرآن يُقدِّم السمع على البصر، ويتقدم البصرَ إلا في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢] لأنها تصور مشهداً من مشاهد القيامة، وفيه يفاجأ الكفار بأهوال القيامة، ويأخذهم المنظر قبل أنْ يسمعوا الصوت حين ينادي المنادي)[١].

(٢) خواطر الشعراوى، (ج١٩/ص١١٨١٩).

٤٨- إشارة إلى الهندسة المدنية والمعمارية في القرآن:

جاء ذكر البناء والهندسة المدنية في لفظة موجزة في كتاب الله، وذلك في قوله سبحانه:

﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ الزمر - ٢٠

قال الإمام الرازى رحمه الله: (فإن قيل: ما معنى قوله: (مَّبۡنِيَّةٞ)؟ قلنا: لأن المترل إذا بُنى على مترل آخر تحته كان الفوقانى أضعف بناء من التحتانى، فقوله: (مَّبۡنِيَّةٞ) معناه: أنه وإن كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمترل الأسفل والحاصل أن المترل الفوقانى والتحتانى حصل في كل واحد منهما فضيلة ومنقصة، أما الفوقانى ففضيلته العلو والارتفاع ونقصانه الرخاوة والسخافة، وأما التحتانى فبالضد منه، أما منازل الجنة فإنها تكون مستجمعة لكل الفضائل، وهى عالية مرتفعة وتكون في غاية القوة والشدة، وقال حكماء الإسلام: هذه الغرف المبنية بعضها فوق البعض) [(١)].

٤٩- سورة النصر وبعض أسرار الاستغفار:

قوله سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ ٣.

يقول ابن القيم: (وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفاراً عقيب الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية ولا رضيها لسيده.)

---

(١) مفاتح الغيب للرازى، (ج٢٦/ص٢٢٩).

وقد أمر الله تعالى وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقيب إفاضتهم من عرفات وهو أجل المواقف وأفضلها، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة –﴿١٩٩﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر ثم جلسوا يستغفرون الله عز وجل وفى الصحيح أن النبى كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثاً ثم قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. وأمره الله تعالى بالاستغفار بعد أداء الرسالة والقيام بما عليه من أعبائها وقضاء فرض الحج واقتراب أجله. فقال في آخر سورة أنزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾[١].

٥٠ – بعض ملامح الإعجاز العلمى في قوله: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ (النمل –﴿٤٤﴾)

ورد في إذاعة القرآن الكريم ما يفيد بأن معامل الانكسار للزجاج عالى الجودة، شديد النقاء، يكون قريبًا جداً من معامل الانكسار للماء (١،٥µ)، فكل من يشاهده يظنه ماء، وهذا ما ظنته ملكة سبأ.

---

(١) مدارج السالكين، (ج١/ص١٧٥).

٥١- لقد ورد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ...﴾ في مواضع عديدة في القرآن الكريم، منها: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ الدخان - (٥١).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ الذاريات - (١٥).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ الطور - (١٧).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ القمر - (٥٤)

وكثيراً ما يحدث خلط للحفاظ بين هذه المواضع، ونذكر منها موضعًا واحدًا وهو موضع سورة الدخان، وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ الدخان - (٥١).

فإنك إذا تأملت في سورة الدخان ستجد ذكر قوم فرعون في وسط السورة، ثم يأتى في ختام السورة ذكر أهل الجنة، وفى سياق الحديث عن قوم فرعون ذكر الله سلب النعمة منهم، ثم صدر في المقدمة (الجنات والعيون والمقام الكريم) الذي تركه قوم فرعون، وإذا نظرت إلى وصف المتقين في أواخر السورة فستجد أيضًا أن الله سبحانه قد صدر الحديث (بالجنات والعيون والمقام الأمين)، وفرق بين المقام الكريم الذي هو في الدنيا، إلا أنه غير أمين، فإما أن تتركه وترحل عنه أو يزول هو عنك، وذلك خلاف المقام في الجنة حيث وصف بالأمين، وكأنه بشرى للمتقين وزجر للعاصين، فرح للمتقين الذين أورثوا الجنات والعيون والمقام، وذلك مصداقاً لقوله سبحانه في أواخر سورة الزخرف التى تلى هذه السورة مباشرة ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الزخرف - (٧٢)، وحسرة وندامة لقوم فرعون الذين تركوا هذه النعم، والله أعلم بمراده، وهذه مجرد علامة على الطريق، فاعلمها فإنها صعبة المستخرج.

٥٢- صنوف من فنون اللغة والبلاغة تجمعها نملة في كلمات:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ﴿١٨﴾-النمل

لقد جمعت هذه النملة في قولها الكثير من أجناس الكلام؛ فقد جمعت أحد عشر جنسًا: النداء، والكناية، والتنبيه، والتسمية، والأمر، والقصص، والتحذير، والتخصيص، والتعميم، والإشارة، والعذر.

فالنداء { يا }. والكناية { أيُّ }. والتنبيه { ها }. والتسمية { النمل }. والأمر { ادخلوا }. والقصص { مساكنكم }. والتحذير { لا يحطمنكم }. والتخصيص { سليمان }. والتعميم { جنوده }. والإشارة { هم }. والعذر { لا يشعرون }.

فأدَّت هذه النملة بذلك خمسة حقوق: حق الله تعالى، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق الجنود.

فأما حق الله تعالى: فإنها استُرعيت على النمل، فقامت بحقهم. وأما حق سليمان- عليه السلام- فقد نبَّهته على النمل. وأما حقها فهو إسقاطها حق الله تعالى عن الجنود في نصحهم. وأما حق الرعية فهو نصحها لهم؛ ليدخلوا مساكنهم. وأما حق الجنود فهو إعلامها إياهم. وجميع الخلق، أن من استرعاه الله تعالى رعيَّة، وجب عليه حفظها، والذبُّ عنها، وهو داخل في الخبر المشهور: "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته". هذا من جهة المعنى.

وأما من جهة المبنى (اللفظ) فإن كلمة { نملة } من الكلمات، التي يجوز فيها أن تكون مؤنثة، وأن تكون مذكرة؛ وإنما أنث لفظها للفرق بين الواحد، والجمع من هذا الجنس. ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تضحِّي بعوراءَ، ولا عجفاءَ، ولا عمياءَ "، كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة، ولا يعني الإناث من الأنعام خاصة!

وأما تنكير { نملة } ففيه دلالة على البعضيَّة، والعموم. أي: قالت نملة من هذا النمل. وهذا يعني أن كل نملة مسؤولة عن جماعة النمل.

وأما قولها: "ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ "، ففيه إيجاز بالحذف بليغ؛ لأن أصله: ادخلوا في مساكنكم، فحذف

منه { في }، تنبيهًا على السرعة في الدخول.

ولفعل { دخل } اســـتعمالات دقيقة في اللغة والقرآن، تخفى حتى على الكثير من علماء اللغة والتفســـير، لخصها الأستاذ محمد إسماعيل عتوك في مقالته النقدية (من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم).

وأما قولها:" لا يَحْطِمَنَّكُمْ "، بنون مشـــددة أو خفيفة، فظاهره النفيُ؛ ولكن معناه على النهي. والنهيُ إذا جاء على صـــورة النفي، كان أبلغ من النهي الصـــريح. وفيه تنبيه على أن من يسير في الطريق، لا يلزمه التحرُّز؛ وإنما يلزم من كان في الطريق.

خامسًا- وفي التعبير بـــــ" لا يَحْطِمَنَّكُمْ "، دون غيره من الألفاظ، دلالة دقيقة على المعنى المراد، لا يمكن لأيِّ لفظ أن يعبِّر عنه. ويبيِّن ذلك أن الحَطْمَ في اللغة هو الهَشْمُ، مع اختصاصه بما هو يابس، أو صلب. والحُطَمَة من أسماء النار؛ لأنها تحطم ما يلقى فيها. وعن بعض العرب: قد تحطمت الأرض يبســًا، فأنشبوا فيها المخالب، وهي المناجل. أي: تكسرت زروع الأرض، وتفتتت لفرط يبسها، فجزوها. ومن هنا نجد القرآن الكريم يستعمل لفظ الحطم للزرع اليابس المتكسر. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ الزمر- ﴿٢١﴾

وقد ثبت للعلماء أن الزرع يحتوي في ساقه وورقه على نسب كبيرة من الزجاج؛ ولهذا نراه يتكسر حين يصفر، كما يتكسر الزجاج. وكذلك النمل، فقد ثبت أن جسم النملة يحتوي على نسبة كبيرة من الزجاج، وأنه مغلف بغلاف صـــلب جداً قابل للتحطم؛ كالزرع اليابس، والزجاج الصـــلب. وذلك يشـــكل إعجازًا علميًّا من إعجاز القرآن إلى جانب إعجازه البياني، الذي يســـمو فوق كل بيان!

وبعد.. فقد أدركت هذه النملة الضعيفة فخامة ملك سليمان، وأحسَّت بصوت جنوده قبل وصولهم إلى وادي النمل، فنادت قومها، وأمرتهم بالدخول في مســـاكنهم أمر من يعقل، وصـــدر من النمل الامتثال لأمرها، فأتت بأحسن ما يمكن أن يؤتى به في قولها من الحكم، وأغربه، وأفصحه، وأجمعه للمعاني؛ ولهذا تبسم سليمان عليه السلام حين سمع قولها، وروي عنه -عليه السلام- أنه قال لها: لم قلت للنمل:" ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ "؟ أخفت عليهم من ظلمنا ؟! فقالت: لا، ولكن خفت أن يفتتنوا

بما يرَوْا من ملكك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله!

وفي حديث سليمان- عليه السلام- مع النملة، وحديثها مع قومها إعجاز آخر من إعجاز القرآن. فقد أثبت العلماء أن للنمل لغته الخاصـــة، التي يتفاهم بها، كما أثبت أن النملة المؤنثة هي التي ترعى قومها، وتتولى الدفاع عنهم، وتنبههم لأي خطر قادم، أو مفاجئ، وليس للذكر أي دور في ذلك؛ لأن مهمته مقتصرة على تلقيح الأنثى العذراء مرة واحدة في حياته، ثم يختفي. (١)

٥٣- إذا سألت مجموعة من الناس، هل خلق الله الليل أولاً أم خلق النهار..؟

فالبعض سيجيب: خلق النهار أولاً، فنقول له أخطأت!

والبعض الآخر سيقول خلق الليل أولاً، فنقول له أخطأت!

فكيف نخرج من هذه المسألة الجدلية..؟

الإجابة الصحيحة: لقد خلق الله الليل والنهار معًا...!

وهذا هو الدليل الراسخ على كروية الأرض، والأمر فيه تفصيل.

ومن أراد تفصيل ذلك بإسهاب فليرجع إلى تفسير الآية: ٤٠ من سورة يس- خواطر الشعراوي(٢)، والآية ٥ من سورة يونس لفضيلة الشيخ الشعراوي.

٥٤- إن اليوم على ســـطح الأرض أقصر من السنة، فهل يعقل أن يكون الأمر على عكس ذلك أي أن يكون اليوم أطول من السنة، وذلك في مكان أخر غير سطح الأرض.

الإجابة: نعم.

---

(١) كتاب: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم.جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود (ج١/ص٢).

(٢) خواطر الشعراوي، جزء ٢١، ص١٢٦٦٦ –ج٩، ص٥٧٤٢.

فإن كوكب الزهرة يدور حول نفســـه أبطأ من دورانه حول الشمس وهذا يخرجنا من القضية الجدلية التي يثيرها المستشرقون بشأن قوله سبحانه:

﴿..وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ.. ﴾ (١) الحج ٤٧.

وقوله ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾ المعارج ٥.

ملحوظة مهمة للقارئ

بعض المســـائل مما جاء في المبحث الأول مجملاً سوف يأتى في المبحث الثانى كل في موضعه من الســـورة التي جاءت فيها الآية، وهذا ليس بتكرار وإنما قمت بهذا التصنيف كنوع من التبويب والترتيب للكتاب.

(١) خواطرالشعراوي، جزء ٩، ص٥٦٨٦.

المبحث الثانى

اللطائف البلاغية للمتشابهات القرآنية

فاتحة الكتاب

رأيت أن أبدأ بما افتتح به الملك سبحانه وتعالى كتابه العزيز، فقبل أن أخط حرفاً في مباحث الكتاب، فلنبدأ ببعض الإشارات البلاغية والوقفات الإيمانية مع **فاتحة الكتاب**.

ما من شك أن تكرار المسلم للفاتحة في اليوم الواحد سبع عشرة مرة – هذا في الفرائض فقط، خلاف السنن والنوافل – فلا بد أن لذلك سراً، ومن أروع ما قرأت في ذلك ما ذكره الدكتور/ عبد الرزاق البدر، نذكر مختصره:

١- (إن فاتحة الكتاب قد تضمنت ثلاثة أسماء لله سبحانه: (**الله والرب والرحمن**)، وهذه الأسماء الثلاثة تجمع في دلالتها سائر الأسماء الحسنى، وقد اشتملت فاتحة الكتاب على هذه الأسماء [١].

وقد أورد الدكتور **عبد الرزاق البدر في** كتابه كلامًا قيمًا لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله يقول فيه:-

(اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العلى إليها ومدارها عليها وهى: الله والرب والرحمن وبُنيت السورة على الألوهية والربوبية والرحمة، فإياك نعبد مبنى على الألوهية، وإياك نستعين على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة فهو المحمود في ألوهيته وربوبيته ورحمته والثناء والمجد كمالاً لجده) ا.هـ[٢].

---

(١) فقه الأسماء الحسنى (ص٨٩).

(٢) مدارج السالكين (ج١/ ص٧).

٢- من أسرار قوله سبحانه:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة - ﴿٥﴾.

ذكر **ابن القيم** فصلاً في ذلك في كتابه (مدارج السالكين)، وأورده الدكتور **عبد الرزاق البدر** في كتابه (فقه الأسماء الحسنى):

فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقى إلى توحيد الإلوهية كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر ويحتج عليهم به، ويقررهم به ثم يُخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلوهية.

وفى هذا المشهد يتحقق له مقام إياك نعبد قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ الزخرف - ﴿٨٧﴾.

أى فأين يصرفون عن شهادة أن لا إله إلا الله وعن عبادته وحده وهم يشهدون أنه لا رب غيره ولا خالق سواه، وكذلك قوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ المؤمنون - ﴿٨٤﴾.

فتعلمون أنه إذا كان هو وحده مالك الأرض ومن فيها وخالقهم وربهم ومليكهم فهو وحده إلههم ومعبودهم، فكما لا رب لهم غيره فهكذا لا إله لهم سواه ا.هـ.

سورة البقرة

أولاً- بعض التوجهات الإيمانية والإشارات اللغوية:

لمحات من سورة البقرة في معنى تزكية النفس وأهميتها وأنها لب الدين وصمام الأمان: عندما دعا نبيُّ الله إبراهيم ربه فقال:

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ البقرة - ﴿١٢٩﴾.

فاستجاب الله له وجاءت الإجابة في ثلاثة مواضع:

قوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ البقرة - ﴿١٥١﴾.

وقوله: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡہِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران - ﴿١٦٤﴾.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡہُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡہِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الجمعة - ﴿٢﴾.

عادة ما يحدث لبس وخلط للقارئ بين هذه الآيات من حيث تقديم وتأخير التزكية؛ حيث تجد أن الله قد رتب هنا ترتيباً مختلفاً عن عما ذكر مع سيدنا إبراهيم فقدم التزكية أولاً.

يقول الله سبحانه في سورة فصلت:﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ فصلت - ﴿٧﴾.

أى لا يزكون أنفسهم بالتوحيد كما جاء في التفسير، قال ابن عباس: لا يشهدون" أن لا إله إلا الله" وهي زكاة الأنفس(١).

فأين توضع التزكية على خريطة الدين..؟

ما بنى الشرع إلا من أجل التزكية وهى تطهير النفس من الشرك، ففى زماننا هذا تسمع عن الذين وصلوا إلى أعلى الآفاق في العلم وصلوا إلى القمر وإلى كوكب المريخ، ثم هم يعبدون الشيطان أو البقر أو النار، وصلوا إلى آفاق عالية ثم هم يعبدون أنفسهم وشهواتهم، وهذا إن دل فإنما يدل على قذارة النفس، وهذا هو السر في أن كثيراً من المساجين في الدول الغربية يسلم في السجن عندما يتم عزله عن هذه المؤثرات وينفرد فتطهر نفسه وتزكو.

عبادات الإسلام كلها تزكية:

إذا تأملت عبادات الإسلام تجدها كلها تزكية.

الصلاة تزكية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ – العنكبوت ﴿٤٥﴾.

الصيام تزكية، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة - ﴿١٨٣﴾.

---

(١) تفسير القرطبى (ج١٥/ص٣٤٠)

الحج تزكية، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ البقرة- ١٩٧.

الزكاة تزكية، قال تعالى ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة -١٠٣.

الشهادة تزكية، قال تعالى ﴿... وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ فصلت – ٧.

لذلك إذا أردنا أن نضع التزكية على خريطة الإسلام وضعناها في أعلى مكان وجعلناها تتداخل في كل العبادات، وهى قضية تنمية الإيمان الذي يخلق في جوفنا [1]

*– لطيفة بلاغية:

قوله: ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ البقرة – ٥٥.

كما ذكر القرطبى: (وقيل: المعنى "تنظرون" أى إلى حالكم وما نزل بكم من الموت وآثار الصعقة[2])، وقيل: (جاءت الصاعقة فأخذت الأول منهم والتسعة والستون الآخرون ينظرون، ثم جاءت فأخذت الثانى والثمانى والستون ينظرون، وهكذا حتى أخذت منهم الرجل رقم تسعة وستين

(١) شرح الشيخ/ محمد حسين يعقوب لكتاب مدارج السالكين.

(٢) تفسير القرطبى (ج١/ص٤٠٣).

وآخر الرجال السبعين ينظر إلى هلاك التسع والستين من قومه[1].

*- لطيفة:

﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ البقرة - (١٢٧).

قيل في قوله (يَرۡفَعُ):

معنى رفع القواعد أى إيجاد البعد الثالث، وهو الارتفاع؛ لأن البيت الحرام له طول وهذا هو البعد الأول، وله عرض وهو البعد الثانى وبهما تتحدد المســـاحة، أما الارتفاع فبضـــربه في البعدين الآخرين يعطينا الحجم، وقد أقام سيدنا إبراهيم عليه السلام البعد الثالث الذي يبرز الحجم[2].

قلت والله أعلم:

صدق الله إذ يقول ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ الأنعام - (٣٨).

فهذا علم الهندسة قد ذكره الله في القرآن في كلمة واحدة.

*- لطيفة: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران - (٩٦).

---

(١) د.محمد سالم مدرس التفسير بمعهد أبي بن كعب، وقال لأنهم قوم بهت ينكرون ما يرونه من الدلائل والمعجزات.

(٢) من خواطر الشعراوى (ج١/٣٧٥٢).

وهذا يعني أن البيت كان موجوداً قبل ذلك، وهذا القول يرد على بعض العلماء الذين قالوا: إن إبراهيم – عليه السلام – هو أول من بنى الكعبة، فنقول لهم: وماذا عن الخلق البشرى من قبل إبراهيم إلى آدم، أليسوا ناساً؛ فلماذا لم يكن لهؤلاء الناس من قبل إبراهيم بيتٌ محرّمٌ؟

وهكذا شاء الحق سبحانه أن يكون البيت الحرام لكل الناس من لدن آدم، وأنه موضوع من قِبَلِ الله (١).

*– قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة – ﴿٦٢﴾.

لما كانت الآية في سياق دعوة اليهود إلى الإسلام ناسب أن يعلموا أن النِّسَبَ لا قيمة له، وإنما العبرة بالإيمان الصحيح والعمل الصالح المزكى للروح البشرية والمطهرة لها، فلذا المسلمون واليهود والنصارى والصابئون وغيرهم كالمجوس وسائر أهل الأديان من آمن منهم بالله واليوم الآخر حق الإيمان وعمل صالحاً مما شرع الله تعالى من عبادات فلا خوف عليهم بعد توبتهم ولا حزن ينتابهم عند موتهم من أجل ما تركوا من الدنيا؛ إذ الآخرة خير وأبقى.

والإيمان الصحيح لا يتم لأحد إلا بالإيمان بالنَّبِيِّ الخاتم محمد ﷺ، والعمل الصالح لا يكون إلا بما جاء به النَّبِيُّ الخاتم في كتابه وما أوحى إليه؛ إذ بشريعته نسخ الله سائر الشرائع قبله وبالنسخ بطل مفعولها، فهي لا تزكى النفس ولا تطهرها، والسعادة الأخروية متوقفة على زكاة النفس وطهارتها (٢).

---

(١) من خواطر الشعراوي (ج٩/٥٦٦٥).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (ج١/ص٤٠).

قلت والله أعلم:

تأمل في الآية السابقة رقم ٦٢ والآيتين ١١١ و١١٢، وانظر في هذا المعنى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ – البقرة

قد يقول قائل: ما وجه التكرار في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾ البقرة –٦٢، ثم يقول في الآية نفسها: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ..﴾ البقرة –٦٢.

هذا تأكيد على أن الانتماء إلى فصيل ديني ليس فيه النجاة، ولكن يشترط أن يكون العمل قرينا له، لذلك عندما قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ.. ﴾ ﴿١١١﴾ – البقرة.

رد عليهم الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ – البقرة

تأكيداً للمعنى، والله أعلم بمراده سبحانه.

ثانيــاً – متشابهــات الســـورة:

١- ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ البقرة – ٣٥

قلت والله أعلم:

فى هذا الترتيب وتتابع الكلمات قمة بلاغية رائعة؛ فالسكن يقتضى كلمة (رغداً)، ولذلك جاء بحرف الواو ولم يأت بالفاء، فقال: (وكُلا) ولم يقل: "فكُلا"؛ لأن الفاء توحى بالسرعة، وعدم السكينة خلاف الواو، لذلك قدم كلمة (رغداً) حتى لا تلاصق كلمة (ولا تقربا) لزيادة الشعور لآدم وزوجه بالطمأنينة والسكينة، ثم بعد ذلك جاء سبحانه بالنهي، وهذا قريب الشبه في التعبير لما جاء في سورة التوبة: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ....﴾ التوبة- ٤٣.

فهذا التعبير غاية في الجمال والروعة لعتاب الحبيب لحبيبه، وكما جاء في بعض التفاسير: (فقدَّم العفو أولاً وقرَّره)[(١)].

وهذا خلاف السياق الذي جاء عند الحديث عن بني إسرائيل في آية البقرة:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

(البقرة – ٥٨).

---

(١) خواطر الشعراوى (ج١٤ /ص٨٨٦٩).

فى هذا التتابع والتناغم للألفاظ أيضاً دقة بلاغية عالية، فكلمة ادخلوا توحى بالسرعة وعدم السكينة، وهذا خلاف ما في سورة يوسف:

﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (يوسف- ﴿٩٩﴾)؛ فهم قد استقروا فيها، أما بنو إسرائيل فلم يستقروا، لذلك جاء بالفاء (فَكُلُوا) لذلك اخر (رغداً)، والله أعلم.

٢- قوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (البقرة -﴿٦٢﴾)

وَوَجْهُ الاقْتِصَارِ فِي الآيَةِ عَلَى ذِكْرِ هَذِهِ الأَدْيَانِ الثَّلاثَةِ مَعَ الإسلام دُونَ غَيْرِهَا مِنْ نَحْوِ الْمَجُوسِيَّةِ وَالدَّهْرِيِّة وَالزَّنَادِقَةِ أَنَّ هَذَا مَقَامُ دَعْوَتِهِمْ لِلدُّخُولِ فِي الإسلام وَالْمَتَابِ عَنْ أَدْيَانهِمُ التى أُبْطِلَتْ لأَنَّهُمْ أَرْجَى لِقَبُولِ الإسلام مِنَ الْمَجُوسِ وَالدَّهْرِيِّينَ؛ لأَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ الإله الْمُتَفَرِّدَ بِخَلْقِ الْعَالَمِ وَيَتَّبِعُونَ الْفَضَائِلَ عَلَى تَفَاوُتٍ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ اقْتَصَرَ عَلَيْهِمْ تَقْرِيبًا لَهُمْ مِنَ الدُّخُولِ فِي الإسلام، ألا تَرَى أَنَّهُ ذَكَرَ الْمَجُوسَ مَعَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ...﴾ [الْحَج: ١٧] لأنَّ ذَلِكَ مقَام تثبيت للنبى (ﷺ) وَالْمُسْلِمِينَ[1].

---

(١) التحرير والتنوير(ج١/٥٣٨).

قلت والله أعلم:

مسألة لطيفة:تذكر فقط للمساعدة في حفظ هذا الترتيب الذي جاء في سورة البقرة:

هذا الترتيب هو نفس ترتيب فاتحة الكتاب، ذكر المؤمنين ثم اليهود ثم النصارى (ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ / ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ / ٱلضَّآلِّينَ) أى لقرب هذا الموضع من موضع الفاتحة وهذه إشارة فقط للحفظ، والله أعلم بمراده سبحانه.

٣- مسألة:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة – ١٢٠)

وقال في الموضع الثانى الذي سبقه الحديث عن القبلة:

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة- ١٤٥

فما الحكمة من قوله سبحانه في الموضع الأول: (بَعْدَ الَّذِى) وفى الموضع الثاني الذي سبقه الحديث عن القبلة قال: (بَعْدِ مَا).

والسؤال الثانى: ما الحكمة من زيادة حرف (مِنْ) في الموضع الثانى؟

جوابه والله أعلم:

إن (الذى) أبلغ من (ما) في باب الموصول في الاستغراق، كما أن الزيادة في المبنى تؤدى إلى زيادة في المعنى، و(الذى) خمسة أحرف، و(ما) حرفان، فهذه الزيادة حتما تضيف معنى.

فلما تضمنت الآية الأولى اتباع عموم أهوائهم في كل ما كانوا عليه، بدليل: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ.

فإن العلم المراد في هذا الموضع كل العلم؛ لأنه يتحدث عن الملة (حتى تتبع ملتهم) والملة أى ملة

تشتمل على الكثير من العلم وليس على فرع منه؛ لذلك ناسب لفظ (الذى) التي هى أبلغ في بابها من (ما).

أما آية البقرة: فالآية قبلها عن القبلة واتباعهم في القبلة، إذاً فالمراد بالعلم هنا جزء أو فرع منه وليس كل العلم؛ لذلك ناسبها (ما) ودخلت (من) في آية القبلة، لأنه في أمر مؤقت معين وهو: الصلاة التي نزلت الآية فيها أى: من بعد نسخ القبلة لأن (من) لابتداء الغاية [1].

قلت: في زيادة كلمة (من) – والله أعلم– وهذا وفقاً لقواعد اللغة والبلاغة:

عندما تقول: (ما عندي تمر) وتقول: (ما عندي من تمر)، فالثانية أشد في النفى، ففى الأولى قد يكون عندك تمرة أو شق تمرة، أما الثانية فقد نفت وجود جنس التمر أصلاً، وقياساً على ذلك جاءت كلمة (من) في قوله: (من بعد ما جاءك) في الآية الخاصة بالقبلة و لم تأت في آية الملة؛ لأن العلم في الثانية أقل من الأولى[2].

تحدث في هذه المسألة ابن عاشور باستفاضة رائعة شملت معظم متشابهات الآيتين: قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّ قَرِيبًا مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة – ١٢٠)

فَعَبَّرَ هُنَالِكَ بَاسْمِ الْمَوْصُولِ (الَّذِى) وَعَبَّرَ هَنَا بَاسْمِ الْمَوْصُولِ (مَا)، وَقَالَ هُنَالِكَ: «بَعْدَ»، وَقَالَ هُنَا: «مِنْ بَعْدِ»، وَجَعَلَ جَزَاءَ الشَّرْطِ هُنَالِكَ انْتِفَاءَ الوَلِيِّ وَالنَصِير، وَجَعَلَ الْجَزَاءَ هُنَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَقَدْ أَوْرَدَ هَذَا السُّؤَالَ صَاحِبُ «دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ. وَهُوَ الإِمَام فَخر الدِّين الرَّازِيّ المتوفى سنة (٦٠٦ هـ)، تكلم فِيهِ على الآيَات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة التي يقْصد الْمُلْحِدُونَ عيبها،

(١) (ابن جماعة) بتصرف كثير (ج١/ص١٠٥).

(٢) هذه الناظرة لها شاهد ذكره د/محمد إبراهيم الحفناوى – أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة؛ وذلك فى تحقيقه لتفسير القرطبى (ج٩/ص٢١).

وَأجَاب عَنْهَا قائلاً:

وَحَاوَلَ إِبْدَاءَ خُصُوصِيَّاتٍ تُفَرِّقُ بَيْنَ مَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الآيَتَانِ وَلَمْ يَأْتِ بِمَا يَشْفى، وَالَّذِي يُرْشِدُ إِلَيْهِ كَلامُهُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ (الَّذِى) و(مَا) وَإِنْ كَانَا مُشْتَرِكَيْنِ فِي أَنَّهُمَا اسْمَا مَوْصُول، إِلا أَنَّهُمَا الأَصْلُ فِي الأَسْمَاءِ الْمَوْصُولَةِ، ولَمَّا كَانَ الْعِلْمُ الذي جَاءَ النَّبِيَّ (ﷺ) فِي غَرَضِ الآيَةِ الآولَى هُوَ الْعِلْمَ الْمُتَعَلِّقَ بِأَصْلِ مِلَّةِ الإِسْلامِ وَبُطْلانِ مِلَّةِ الْيَهُودِ وَمِلَّةِ النَّصَارَى بَعْدَ النَّسْخِ، وَبِإِثْبَاتِ عِنَادِ الْفَرِيقَيْنِ فِي صِحَّةِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) وَذَلِكَ ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبۡحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ (البقرة - ١١٦) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ البقرة - ١٢٠، فَلا جَرَمَ كَانَ الْعِلْمُ الذي جَاءَ فِي ذَلِكَ هُوَ أَصْرَحَ الْعِلْمِ وَأَقْدَمَهُ، وَكَانَ حَقِيقًا بِأَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِاسْمِ الْمَوْصُول الصَّرِيحِ فِي التَّعْرِيف.

وَأَمَّا الآيَةُ الثَّانِيَةُ التي نَحْنُ بِصَدَدِهَا فَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِإِبْطَالِ قِبْلَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لأَنَّهَا مَسْبُوقَةٌ بِبَيَانِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ البقرة - ١٤٢

وَذَلِكَ تَشْرِيعٌ فَرْعِيٌّ، فَالتَّحْذِيرُ الْوَاقِعُ بَعْدَهُ: تَحْذِيرٌ مِنَ اتِّبَاعِ الْفَرِيقَيْنِ فِي أَمْرِالْقِبْلَةِ، وَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ مِثْلُ مَا لِلتَّحْذِيرِ مِنَ اتِّبَاعِ مِلَّتِهِمْ بِأَسْرِهَا فَلَمْ يَكُنْ لِلْعِلْمِ الذي جَاءَ النَّبِيُّ فِي أَمْرِ قِبْلَتِهِمْ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ مَا لِلْعِلْمِ الذي جَاءَهُ فِي بُطْلانِ أُصُول مِلَّتِهِمْ، فَلِذَلِكَ جِيءَ فِي تَعْرِيفِهِ بِاسْمِ الْمَوْصُولِ الْمُلْحَقِ بِالْمَعَارِفِ وَهُوَ (مَا) لأَنَّهَا فِي الأَصْلِ نَكِرَةٌ مَوْصُوفَةٌ نُقِلَتْ لِلْمَوْصُولِيَّةِ.

وَإِنَّمَا أُدْخِلَتْ (مِنْ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى (بَعْدِ) بِقَوْلِهِ: مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ لأنَّ هَذِهِ الآيَةَ وَقَعَتْ بعد الآيَةَ الأول فِي سُورَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَيْس بَيْنَهُمَا بَعِيدُ فَصْلٍ فَكَانَ الْعِلْمُ الذي جَاءَهُ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ: مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ هُوَ جُزْئِيٌّ مِنْ عُمُومِ الْعِلْمِ الذي جَاءَ فِي إِبْطَالِ جَمِيعِ مِلَّتِهِمْ، فَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُشَارَ إِلَى كَوْنِهِ جُزْئِيًّا لَهُ بِإِيرَادِ (من) الابتدائية[1].

قلت في شأن تزييل الأولي بقوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾،

والثانية: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

الوعيد في الأولى أشد وأعظم في التعبير ليناسب قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ فإن اتباعهم الملة غير المسلمة أمر جلل خطير فغلَّظ في الوعيد، أما في الثانية فالحديث عن جزء من عقيدقم وملتهم وهو أمر القبلة لذلك خفف في الوعيد فقال: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والله أعلم بمراده سبحانه.

٤- مسألة:

الضمير في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة - ١٤٦

أحد الأقوال أنه: راجع إلى أمر القبلة: أى علماء أهل الكتاب يعرفون أمر القبلة التى نُقِلت إليها كما يعرفون أبناءهم، وهو قول ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد.

واعلم أن القول الأول (أن الضمير يرجع إلى معرفتهم بنبوة الرسول) أولى من وجوه.

أحدها: أن الضمير إنما يرجع إلى مذكور سابق، وأقرب المذكورات العلم في قوله: ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العلم﴾ [البقرة: ١٤٥]، والمراد من ذلك العلم: النبوة، فكأنه تعالى قال: إنهم يعرفون ذلك العلم

---

(١) التحرير والتنوير (ج٢/ص٣٨)

كما يعرفون أبناءهم، وأما أمر القبلة فما تقدم ذكره البتة.

وثانيها: أن الله تعالى ما أخبر في القرآن أن أمر تحويل القبلة مذكور في التوراة والإنجيل، وأخبر فيه أن نبوة محمد (ﷺ) مذكورة في التوراة والإنجيل، فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى.

وثالثها: أن المعجزات لا تدل أول دلالتها إلا على صدق محمد (ﷺ)، فأما أمر القبلة، فذلك إنما يثبت لأنه أحد ما جاء به محمد (ﷺ) فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى [1].

وقال العلامة الطاهر بن عاشور:

الضمير المنصوب في يَعْرِفُونه لا يعود إلى تحويل القبلة؛ لأنه لو كان كذلك لصارت الجملة تكريراً لمضمون قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٤]، بل هو عائد إما إلى الرسول وإن لم يسبق ذكر لمعادٍ مناسبٍ لضمير الغيبة، لكنه قد علم من الكلام السابق وتكرر خطابه فيه من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقوله:

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فالإتيان بالضمير بطريق الغيبة من الالتفات، وهو على تقدير مضاف؛ أي يعرفون صِدْقَهُ، وإما أن يعود إلى (الحق) في قوله السابق: (ليكتمون الحق)، فيشمل رسالة الرسول وجميعَ ما جاء به، وإما إلى العلم في قوله: ﴿بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾

(١) (مفاتيح الغيب، ج ٤ صـ ١١٦، ١١٧).

[البقرة: ١٤٥].ا هـ [(١)].

٥- مسألة: في قصة البقرة:

قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً...﴾ البقرة

عندما كثرت أسئلة بنى إسرائيل عن وصف البقرة ما الحكمة في أن الإجابة والهداية لم تأتهم من الله بشأن البقرة إلا في المرة الثالثة.

الإجابة والله أعلم:عندما قالوا:﴿.وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ..﴾ البقرة- ﴿٧٠﴾

قيل: أى مهتدون إلى البقرة المراد ذبحها وفى الحديث الذي رواه الطبرى قال: حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبى الله (ﷺ) كان يقول: "إنما أمر القوم بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد عليهم. والذي نفس محمد بيده، لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد [(٢)].

٦- مسألة في الوقف والابتداء: أنواع الوقف والابتداء في القرآن أربعة على المشهورة في كتب التجويد، ولكنْ هناك نوع خامس قد يندر ذكره وهو الوقف التعسفي، والابتداء التعسفي وهو أن يتكلف القارئ وقفاً أو يبدأ ببداية فيها تكلف -ويتبن ذلك على سبيل المثال في قوله:﴿.وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ البقرة-﴿١٥٥﴾، تجد بعض القراء يقف هنا مع نهاية الآية، وهذا الوقف مطابق لسنة النَّبيِّ (ﷺ)؛ فقد كان يقف على رؤوس الآى، ولكن التعسف أن يبدأ فيقول: الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة فجعل الصابرين التى هى هنا في موضع رفع مبتدأ في هذه الترتيب الجديد الذي ابتدعه القارئ، جعلها في موضع نصب أو جر مخالفاً لقواعد النحو، وهذا لا يستقيم.

٧- مسألة:

---

(١) (التحرير والتنوير، ج ٢ صـ ٣٩).

(٢) جامع البيان: تفسير الطبرى (ج٢/ص ٢٠٦).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ...﴾ (البقرة – ١٧)، ثم قال:

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾، ولم يقل: بضيائهم؛

مع ما فيه من بديع المطابقة؟

جوابه: إن الضياء أبلغ من النور ولا يلزم من ذهابه ذهاب النور، بخلاف عكسه فذهاب النور أبلغ في نفي ذلك (١).

وقد تحدث ابن القيم في تفسيره عن هذه الآية فقال:

﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾ (البقرة – ١٧)

فجمع فيها من اللطائف ما يحسُن ذكره:

قال: وتأمل قوله تعالى: ﴿أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾ كيف جعل ضوءها خارجاً عنه منفصلاً، ولو اتصل ضوؤها به ولابسه لم يذهب، ولكنه كان ضوؤه مجاورة لا ملابسة ومخالطة، وكان الضوء عارضاً والظلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه وبقيت الظلمة في معدها فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به حجة من الله قائمة وحكمة بالغة تعرف بها إلى أولى الألباب من عباده.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ ولم يقل: بنارهم، ليطابق أول الآية، فإن النار فيها إشراق وإحراق، فذهب بما فيها من الإشراق وهو النور، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النارية. وتأمل كيف قال: (بنورهم) ولم يقل بضوئهم مع قوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾ لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون

---

(١) ابن جماعة (ج١/ص٩٠).

الأصـــل، فلما كان النور أصـــل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالشيء وزيادته، وأيضاً فإنه أبلغ في النفى عنهم وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم، وأيضاً فإن الله تعالى سمى كتابه نوراً ورسوله نوراً ودينه نوراً وهداه نوراً، ومن أسمائه: النور والصـــلاة نور فذهابه ســـبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله.

وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ (البقرة – ١٦)، كيف طـــابق هذه التجارة الخاســـرة التى تضـــمنت حصـــول الضلالة والرضا بها وبَدَلَ الهدى في مقابلتها، وحصول الظلمات التى هى الضـــلالة والرضا بها بدلاً عن النور الذي هو الهدى والنور، فبدلوا الهدى والنور وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة، فيا لها من تجارة ما أخسرها وصفقة ما أشد غبنها!!

وتأمل كيف قال الله تعالى: (ذهب الله بنورهم) فوحده – أي فوحد لفظ النور– ثم قال: (وتركهم في ظلمات) فجمعها، فإن الحق واحد وهو صـــراط الله المستقيم الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادته وحده لا شـــريك له بما شرعه على لسان رسوله، لا بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق بخلاف طرق الباطل؛ فإنها متعددة متشعبة ولهذا يفرد ســـبحانه الحق ويجمع الباطل كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِۗ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ البقرة – ٢٥٧ أ.هـــ.

قلت والله أعلم: لذلك قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ (يونس - ٥).

وقد أكد لنا علماء الفضاء والفلك أن القمر لا يضيء من تلقاء نفسه، إنما هو نور نتيجة انعكاس ضوء الشمس عليه.

٨- مسألة:

قوله: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة - ٣٤) ما الحكمة من ذكرقصة آدم هنا مجملاً وفى بقية السور مفصلاً؟

جوابه: لما تقدم التفصيل في السورة المكية أجمله في السورة المدنية وهى البقرة، اكتفاء بما تقدم علمه من التفصيل في المكيات [(١)].

٩- مسألة: قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ (البقرة -٣٨)، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ (طه - ١٢٣).

جوابه: يحتمل والله أعلم أن – فَعِل – التى جاء على وزنها: تَبِعَ، لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله، و- افتعل- التى جاء على وزنها: ٱتَّبَعَ يشعر بتجديد الفعل، وبيان قصة آدم هنا لفعله، فجىء بقوله: ﴿

---

(١) ابن جماعة (ج١/٩٢).

تَبِعَ هُدَايَ﴾ وفى طه جاء بعد قوله:﴿ ... وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا...﴾ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ فناسب (من اتبع)، أي: جدد قصد الاتباع [1].

قلت والله أعلم:

من المعروف في قواعد البلاغة أن الزيادة في مبنى الكلمة تدل على زيادة في معناها الكلمة، وإذا تأملت آية طه ستجد قوله:

﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ طه - (١٢٣).

أما آية البقرة:

﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (البقرة -(٣٨)).

إن الزيادة في آية طه وهى قوله سبحانه: ﴿ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ ﴾ قد ناسبها أن يأتى قوله: (ٱتَّبَعَ) بزيادة همزة الوصل، أما في البقرة فلم يذكر قوله: ﴿ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ ﴾ لذلك قال: (تَبِعَ) بدون همزة الوصل.

وقد عَنَّ لى –والله أعلم بمراده سبحانه– أن الزيادة في طه تدل على مراد الله أن يؤكد لنا عداوة الشيطان ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ ولا حيلة لابن آدم للنجاة من هذه العداوة إلا باتباع هدى

---

(١) ابن جماعة (ج١/٩٣).

الله؛ لذلك جاء بقوله: (اتبع) بدل من (تبع) بزيادة الهمزة، فكما بالغ في التحذير من الشيطان بالغ في التأكيد على اتباع هديه سبحانه.

١٠- مسألة:

قوله: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ (البقرة - ٥١).

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ (البقرة - ٩٢).

لاحظ تطابق عجز الآية مع اختلاف البداية.

قلت والله أعلم:-

فى الأولى واعد الله موسى أربعين ليلة والتي تلقى فيها الألواح والوصايا، ثم ذهب إلى قومه بها فأصبح الترتيب: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ﴾ ثم: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ﴾، ثم كان من بني إسرائيل بعد ذلك ما كان من اتخاذ العجل، ونذكر ما ذكرناه من قبل في الفرق بين أتى وجاء فقال: هنا (جاء) ولم يقل: (أتاكم بالبينات) لعظم الأمر، فقد جاء ومعه الألواح والوصايا من الله فناسبها قوله: (جاءكم).

١١- مسألة:

قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة - ٤٨).

والآية الثانية قوله:

﴿وَٱتَّقُوا يَوۡمًا ۡ لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة – ١٢٣)

تحدث ابن جماعة في هذه المســـألة، ولكن فضيلة الإمام الشعراوى رحمه الله ذكرها بتفصيل وتبسيط وتوضيح يسهل على العَامّي فهمه قال:

وفى القرآن آيتان جاءتا بنص متقارب، فالحق يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ البقرة – ٤٨.

والآية الثانية تقول:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة– ١٢٣).

ومن حاولوا المقارنة بين الآيتين بغرض الطعن في القرآن، هم من الغرباء عن اللغة ولا يملكون ملكة البيان التي يمكن أن يستقبلوا الأساليب بها، ولو امتلكوا هذه الملكة لعلموا أن الصدر في الآيتين محتمل لوجهين، فهناك نفس جازية هى التى تتشفع ونفس مجزيٌّ عنها هى التى يُتشفع لها.

والضمير الذي يأتى في قول الحق: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا﴾ و﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ﴾

و﴿وَلَا تَنفَعُهَا﴾، هذا الضـــمير يصح أن يرجع إلى النفس الشافعة، ويصح أن يرجع إلى النفس المشفوع لها، والإنسان منا إذا ما كان عليه شيء لإنسان آخر، وغير قادر على أن يستبرئ ذمته منه، فهو يلجأ إلى صـــديق لهذا الآخر، له مكانة عنده ليستشفع له، وفور أن يذهب صاحب المكانة إلى

هذا الآخر فهو يقول له: هل تقبل شـــفاعتي لفلان؟ فإن قال صـــاحب الأمر: لن أقبل الشـــفاعة، فالمســـتشـــفع عنده يقول له: إذن: سأدفع العِدْل، أي: ما يساوى قيمة ما كنت سأتشفع له فيه، وهكذا نجد أنفسنا أمام نفسين: شافعة، ومشفوع لها، والضمير يعود على أى من النفسين، وهكذا نجد أن صـــدر كل آية من الآيتين اللتين يقال عنهما: إنهما متشابهتان، صدر كل منهما منسجم مع عجزها (١).

١٢- قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ...﴾ (البقرة - ١٩٦).

من المعلوم أن مجموع ســـبعة وثلاثة يســـاوى عشرة، فما السبب في زيادة قوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾.

جوابه والله أعلم:

قد يتوهم السامع أن قوله: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يدخل فيها الثلاثة أيام في الحج، فيظن أنه تبقى له أربعة أيام فقط، فقطع ذلك الوهم بقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (٢).

---

(١) خواطر الشعراوي (ج١/٣٨٣٨).

(٢) ذكرها الشيخ صلاح صالح في مسجد الخلفاء، (حلقة القرآن) – وهذه الناظرة لها شاهد ذكرها بالتفصيل صاحب تفسير التحرير والتنوير (ج٢/ص ٢١٦).

سورة البقرة / سورة إبراهيم

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ (البقرة - ٤٩)

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ (إبراهيم - ٦)

ما الحكمة من زيادة الهمزة في الآية الخاصة بسورة إبراهيم؟

جوابه: الأولى من كلام الله سبحانه والله لم يعدد عليهم فقال: ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ البقرة - ٤٩، عكس الآية الثانية: (أنجاكم- بزيادة الهمز-)؛ حيث أُمر موسى بأن يعدد عليهم نعم الله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ إبراهيم، ومعلوم أن الزيادة في مبنى الكلمة زيادة في معناها، والله أعلم بمراده سبحانه[1].

٢- الموضـــعان الوحيدان في القرآن اللذان لم يذكر فيهما كلمة (يا قوم) في حديث موسى لقومه- قوله:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ﴾ (البقرة-٦٧).

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (إبراهيم - ٦).

٣- قوله: ﴿....لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة -٢٦٤).

---

(١) خواطر الشعراوى (ج١/٤٦٤٢)

وقوله ﴿...لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ (إبراهيم - ١٨).

الإجابة والله أعلم:

ما في البقرة - والله أعلم بمراده سبحانه- هو الأصل وكلمة (على شيء) هى صلة القدرة، والآيات قبلها عن قدرة الله المطلقة من الإتيان بالشمس من المغرب وإحياء الموتى فناسبها تقديم (على شيء) وتأخير (مما كسبوا)، أما في إبراهيم فالآيات قبلها (أعمالهم كسراب) فالحديث عن الأعمال، فقدم (مما كسبوا) وأخر (على شيء) [(١)].

٤ - قوله: ﴿...وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ (البقرة- ١٢٦).

وقوله: ﴿...رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا﴾ (إبراهيم - ٣٦).

الإجابة والله أعلم:

فى الأولى (هـذا) مفعول أول و(بلداً) مفعول ثانٍ و(آمناً) صـفة — وجاءت (بلداً) نكرة لأن الإشارة إلى (واد غير ذى زرع) وذلك قبل بناء الكعبة. وقيل: إن هذا دعاء عام لكل من هو في هذا البلد أو أتى إليه، أما في إبراهيم (هذا البلد) مفعول أول و(آمنًا) مفعول ثانٍ وهو دعاء مخصوص بأمان مخصوص لكل ما في هذا البلد من جماد وطير وزرع وحيوان، وذلك بعد أن أصبح البلد القفر بلدًا عامرًا[(٢)].

---

(١) أسرار التكرار فى القرآن، للكرمانى، (ج١/ص ١١٧) بتصرف كثير.

(٢) أسرار التكرار فى القرآن، للكرمانى، (ج١/ص ٣٥).

سورة النساء

١– قوله سبحانه في أواخر آية الوصية:

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ..﴾ (النساء – ١١)

ما الحكمة من تقدم الــ وَصِيَّةٖ على (الدّيْن) ونحن نعلم من السنة أن الــ دَيۡن قبل الوصية.

الإجابة والله أعلم:

روى سفيان عن أبي إسحاق، عن الحارث الأعور، عن على بن أبي طالب، رضى الله عنه، قال: إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ..﴾ [النساء: ١١] وإن رسول الله (ﷺ) قضى بالدين قبل الوصية)(١).

للعلماء فيها خمسة أقوال، منها: (قدم وبدأ بالذى لا بد منه وهو الوصية، فلا بد من الوصية لمن كان له شــيء يوصــى به كما في الحديث، ثم أخَر ما قد يكون أو لا يكون، فليس كل ميت يكون عليه دين، ولكن لا بد له من وصية، لذلك عطف هنا بحرف (أو) و لم يعطف (بالواو) (٢).

٢– الآية (٣٤) عندما ذكر فيها سبحانه:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ النساء – ٣٤.

ثم ذكر مراحل التدرج في التأديب للزوجة الناشز، فلكي لا يستعلى أحد ويتجبر ويتكبر على زوجه بغياً وظلمًا، وليتذكر أن الله له بالمرصاد، فحسن أن يختم الله الآية بصفتين من صفاته العلى سبحانه

(١) شرح البخارى لابن بطال (ج ٨ / ص ٣٣٩)

(٢) تفسير القرطبي (ج٥ /٧٣)

(١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ النساء - ﴿٣٤﴾.

النساء /التوبة

*- قوله:﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ..﴾ التوبة- ﴿٢٩﴾

هذا المقطع:﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ..﴾- لم يأت إلا في موضعين في القرآن—النساء /التوبة-.

---

(١) القرطبي بتصرف كثير (ج٥/١٧٣)

سورة المائدة

١- نهاية الآية (٥) في المائدة: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (المائدة - ٥)

ما الحكمة من هذا التذييل للآية:

(ومن يكفر بالإيمان)، أى يكفر بما نزل على محمد، ذلك أن نساء أهل الكتاب عندما نزلت الآية قلن لولا أن الله ارتضى ديننا لما أحل لكم الزواج منا، فنزلت(١).

٢- ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة - ٥٨

هى الوحيدة التى ذكر فيها الأذان على إطلاقه، أما آية سورة الجمعة ففيها التخصيص، وهو قوله سبحانه(٢): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجمعة - ٩

---

(١) تفسير القرطبي (ج٦/٧٩).

(٢) تفسير القرطبي (ج٦/٣٠).

٣- السر في رقم أربعين:

قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ المائدة – ٢٦

إذا تأملت هذه الآية وإلى جوارها قوله: ﴿.حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ....﴾ الأحقاف – ١٥

فما الحكمة من أن الله سبحانه كتب عليهم التيه في الصحراء أربعين سنة).

قيل والله أعلم:-

حتى يكون آخر رجل في العهد القديم – الذين عصوا موسى فأدخلهم الله التيه – يكون قد مات في التيه، وولد جيل جديد تربى لمدة أربعين عاما وهو السن الذي قال الله فيه: ﴿..**حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ**﴾ **الأحقاف** – ١٥، يكون هذا الجيل قد تربى تربية إيمانية ربانية على يد يوشع غلام نبي الله موسى فيدخلون الأرض المقدسة.

سورة المائدة/النور

*- قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ المائدة - ﴿٣٨﴾

و قوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ النور - ﴿٢﴾

قدم الرجُل في السرقة وقدم المرأة في الزنا[1] ؛ لأن المكلف بتوفير المعيشة والسعى هو الرجل، لذلك قال الله:﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ طه- ﴿١١٧﴾. و لم يقل فتشقيا.

أما مبدأ الغواية الذي يؤدى إلى الوقوع في الفاحشة فغالباً ما يكون مبدأه المرأة، لذلك قال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي..﴾ النور-٢.

المائدة / الحشر

قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ جاءت في موضعين لا ثالث لهما:

الموضـــع الأول: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المائدة - ﴿٢٩﴾

الموضع الثانى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الحشر - ﴿١٧﴾

---

(١) هذه الناظرة لها شاهد قريب فى المعنى أورده ابن جماعة فى كتابه- كشف المعانى فى المتشابه من المثانى- (ج١/ص٢٧٠).

قلت والله أعلم:

ومعلوم أن أول من يدخل النار من البشـــر هو قابيل، وجاء قبلها ذكر الشـــيطان: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾، ثم قـــال: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الحشر - ﴿١٧﴾

وهو أول من حقت فيه النار – أو من أوائل من سخط الله عليه – والله أعلم، لأنه إن صح ما ورد في الإسرائيليات (قال اللّه تعالى لموسى عليه السلام فيما أوحى إليه: يا موسى، إن أول من مات من خلقي إبليس لعنه اللّه لأنه عصاني، وإني أعد من عصاني في الموتى)(١).

سورة المائدة /فصلت

لعل سائلاً أن يسأل عن قول الله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

المـــائدة – ﴿٣﴾ يدل على أن الدين كان غير كامل في وقت من الأوقات، وذلك يوجب أن يكون جميع من مات من المهاجرين والأنصار والذين شهدوا بدراً والحديبية وبايعوا رسول الله (ﷺ) البيعتين جميعاً، وبذلوا أنفسهم لله مع عظيم ما حل بهم من أنواع المحن ماتوا على دين ناقص، وأن رسول الله (ﷺ) في ذلـــك كان يدعو الناس إلى دين ناقص، ومعلوم أن النقص عيب، ودين الله تعالى قيم، كما

---

(١) تفسير التسترى لأبي محمد سهل بن عبد الله التسترى، (ج١/ص١٧٢).

قال تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ﴾ (الأنعام - ١٦٦)؟

فالجواب أن يقال له: لِمَ قلت إن كل نقص فهو عيب وما دليلك عليه؟ ثم يقال له: أرأيت نقصان الشهر هل كان عيباً؟ ونقصان صلاة المسافر أهو عيب لها؟ ونقصان العمر الذي أراده الله بقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فاطر - (١١)، أهو عيب له؟ ونقصان أيام الحيض عن المعهود، ونقصان أيام الحمل، ونقصان المال بسرقة أو حريق أو غرق إذا لم يفتقر صاحبه؟ فلم أنكرت أن نقصان أجزاء الدين في الشرع قبل أن تلحق به الأجزاء الباقية في علم الله تعالى هذه ليست بِشينٍ ولا عيب، وما أنكرت أن معنى قول الله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يخرج على وجهين: أحدهما- أن يكون المراد بلغته أقصى الحد الذي كان له عندي فيما قضيته وقدرته، وذلك لا يوجب أن يكون ما قبل ذلك ناقصاً نقصان عيب، لكنه يوصف بنقصان، مقيد فيقال له: إنه كان ناقصاً عما كان عند الله تعالى أنه ملحقه به وضامه إليه، كالرجل يبلغه الله مائة سنة فيقال: أكمل الله عمره، ولا يجب عن ذلك أن يكون عمره حين كان ابن ستين كان ناقصاً نقص قصور وخلل، فقد رُوِيَ عن أبي هريرة أن النَّبِيِّ(ﷺ) قال: (من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر) [(١)]. ولكنه يجوز أن يوصف بنقصان مقيد فيقال: كان ناقصاً عما كان عند الله تعالى أنه مبلغه إياه ومعمره إليه، وقد بلغ الله بالظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، فلو قيل: عند ذلك أكملها لكان الكلام صحيحاً، ولا يجب عن ذلك أنها كانت حين كانت ركعتين ناقصة نقص قصور وخلل، ولو قيل: كانت ناقصة عما عند الله أنه ضامه إليها وزائده عليها لكان ذلك صحيحاً، فهكذا، هذا في شرائع الإسلام وما كان شرع منها شيئاً فشيئاً

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي (ج٣/ص٣٧٠).

إلى أن أنهى الله الدين منتهاه الذي كان له عنده، والله أعلم.

والوجه الآخر: أنه أراد بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ أنه وفقهم للحج الذي لم يكن بقي عليهم من أركان الدين غيره، فحجوا، فاستجمع لهم الدين أداءً لأركانه وقياماً بفرائضه، وذلك لحديث النَّبِيِّ (ﷺ) الذي رواه ابن عمر: (بني الإســـلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)[1]، وقد كانوا تَشَهَّدوا وصلوا وزكوا وصاموا وجاهدوا واعتمروا و لم يكونوا حجوا، فلما حجوا ذلك اليوم مع النَّبِيِّ (ﷺ) أنزل الله تعالى وهم بالموقف عشية عرفة ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ المائدة - (٣)، فإنما أراد أكمل وضعه لهم، وفي ذلك دلالة على أن الطاعات كلها دين وإيمان وإسلام. ا.هـــ[2].

قلت والله أعلم:- بقياس قوله سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ المائدة - ٣، في مقابل قوله: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ فصلت - (٥٣).

بقياس التعبير بالماضي التام (أكملت) والذى يفيد أن الدين قد تم فلا زيادة إلا في فروع منها - تغير الفتوى بالمكان والزمان وحال المســـتفتي - (وفى ذلك تفصيل لأهل الفقه) ولا خلاف على أن الأصول قد تمت، أما الكلام عن الآيات في الآفاق فقد عبر الله فيها بقوله: (سنريهم) تفيد الاستمرارية، فالعلوم الحياتية (ولا يستقيم التعبير عنها بالدنيوية)

(١) صحيح البخارى (ج١/ص١٢)

(٢) تفسير القرطبي (ج٦/٦٣).

(١) فإننا نجد أنه في كل يوم جديد في أمرها.

سورة الأنعام

١- ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المائدة - ﴿٥١﴾

الحديث هنا عن قوم مؤمنين، لذلك لم يأت بالمبالغة فلم يقل: (من ولى)، بل قال مباشرة: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ...﴾

٢- ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ المائدة - ﴿١١٣﴾

ذكر فضيلة الإمام الشعراوي أن علم النفس قد جاء في هذه الآية فقال:

لكن هناك من يصغي ويرضى وجدانه ويستريح لما يسمع، ثم يترع للعمل ليقترف الإثم.

وهذه ثلاث مراحل: الأولى هى:﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

(١) د. راغب السرجاني (سلسلة العلم).

ثم المرحلة الثانية:

{وَلِيَرۡضَوۡهُ}، ثم المرحلة الأخيرة: **{وَلِيَقۡتَرِفُواْ}** أي يرتكبوا الإثم، وهذه المسألة حددت لنا المظاهر الشعورية التى درسها علماء النفس، فالإدراك: «لتصغى»: والوجدان؛ «ليرضوه»، والتروع: «ليقترفوا».

وقبل أن يولد علم النفس جاء القرآن بوصف الطبيعة البشرية بمراحلها المختلفة من إدراك ووجدان، ونزوع[(١)].

وذكر فضيلة الإمام الشعراوي تفسيرًا مطولا بإسهاب رائع أنصح بالرجوع إليه.

سورة الأعراف

قصة نوح

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ الأعراف - ٥٩

هذه السورة فقط جاء قوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ بدون (الواو)، لأن هذا أول ذكر لنوح، فلا يوجد ما يعطف عليه [(٢)].

*–قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف

---

(١) خواطر الشعراوى (ج٧/ص٣٨٨٤).

(٢) له نظير قريب من هذا المعنى ذكره ابن جماعة صاحب: كتاب كشف المعانى فى المتشابه من المثانى (ج١/ص١٧٧).

لم يقل: (ضلال) كما قالوا؛ لأن الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفى الضلال عن نفسه كأنه قال: ليس بى شيء من الضلال، ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة فقال: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]

*- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف - ﴿٦٢﴾

فيها مسألتان:

١- قال هنا: (أَنصَحُ) أما في قصة هود قال: (ناصح) على وزن فاعل وذلك لمقابلة قول قومه: (من الكاذبين) على وزن فاعلين لمقابلة اسم الفاعل بالاسم[2].

٢- عبر بالجمع فقال: (رسالات) لأن قبله إدريس وشيث[3].

*- قوله سبحانه: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾

(١) تفسير مدارك التتريل وحقائق التأويل للنسفي (ج١/ص٣٧٤).

(٢) ذكر صاحب كتاب ملاك التأويل كلاماً قريب من ذلك (ج١/ص٢٨٧).

(٣) روح البيان (ج٣/ص١٣٩).

الأعراف - ﴿٦٤﴾.

قلت والله أعلم:

و الذين معه: تفيد العدد الأقل من قوله **– ومن معه– في** يونس، لذلك زاد في يونس **– وَجَعَلْنَاهُمْ خلائِفَ.**

قصة هود

*- ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الأعراف- ﴿٦٥﴾

فى قصة نوح قال: (فَقَالَ)، أما مع هود فلم يأت بالفاء؛ لأن نوحًا كان مواظباً على دعوة قومه وغير مؤخر لجواب شبهتهم لحظة واحدة، وهود لم يكن مبالغا لهذا الحد[1].

*- قوله: ﴿.. وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف - ﴿٧٢﴾

عطف على قوله: ﴿كَذَّبُوا﴾ **في** الآية ٦٤

﴿. ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ **الأعراف** -﴿٦٤﴾

وفائدة هذا النفي عند **الزمخشرى** التعريض لمن آمن منهم، وبيانه كما قال **الطيبى:** (إذا سمع المؤمنون أن الهلاك اختص بالمكذبين وعلموا أن نجاتهم في الإيمان، ازدادت رغبتهم فيه) [2].

---

(١) تفسير الألوسي (ج٤/ص٣٩٢).

(٢) روح المعانى (ج٤/ص٣٩٧).

*- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ الأعراف - (٧٢)

سر تقدم الإنجاء على الإهلاك - كما قال **محمد بن إسحاق والسدى** - أهم فشوا في الأرض كلها وقهروا أهلها، ولما جاءهم هود كذبوه وازدادوا طغياناً وتجبراً) [١].

*- قوله سبحانه:﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ الأعراف- (٧٨)

قال **النيسابورى** وكذلك **الشعراوى**: الصيحة من السماء، فهى أقوى في الانتشار من الرجفة التى هى من الأرض، لذلك قرن بين (الصيحة/ديارهم) (الرجفة/دارهم). وقال الكرمانى: (وحد الدار وحيث ذكر الصيحة جمع، لأن الصيحة من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة، فاتصل كل واحد بما هو لائق به)[٢].

قصة لوط

*- قال سبحانه في الأعراف: ﴿..بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ... ﴾.

- أما في النمل فقال: ﴿...بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَمَا كَانَ..﴾

- عبر في الأعراف بالاسمية وفى النمل بالفعلية، حتى تتناسب مع رءوس الآيات [٣].

وقيل: في الأعراف عندما قال: ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ عقب عليها في الآية التى تليها بالواو لأن التعقيب

---

(١) تفسير الطبرى (ج٢٢/١٢٣)، ولكنني أُشْكِل عليَّ هذا الأمر وكيف يتفق مع قول الله فى الشعراء فى الآية ١٣٩: (فكذبوه فأهلكناهم).

(٢) كتاب البرهان فى توجيه متشابه القرآن (ص٦٣).

(٣) المرجع السابق، كتاب البرهان فى توجيه متشابه القرآن (ص٦٤).

على الاسم بالواو يحسن عن الفاء في النمل عندما قال: ﴿تَجۡهَلُونَ﴾ عقب عليها بالفاء في الآية التي تليها، لأن التعقيب على الفعل بالفاء يحسن عن الواو.

* - قوله: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ الأعراف - ﴿٨٢﴾

و قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل- ﴿٥٦﴾)

قال **النيسابورى**: لأن النمل نزلت قبل الأعراف فصرح في الأولى (النمل) وكنّى في الثانية (الأعراف).

قصة مدين

*-قوله تعالى: ﴿..قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ..﴾ (الأعراف-﴿٨٥﴾).

لم يذكر معجزته في الكتاب، ومن قال: إنه ليس له معجزة فقد أخطأ، لأن **الفاء** هنا تدل على ترتيب الأمر بناء، على مجيء بينة أي أنه أمرهم بما سبق بعد أن أتاهم بمعجزة.

قال العلامة **الرازي**:

(واعلم أنه تعالى حكى عن شعيب أنه أمر قومه في هذه الآية بأشياء؛ **الأول**: أنه أمرهم بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله، وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء فقال: ﴿..يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ...﴾

والثانى: أنه ادعى النبوة فقال: (قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) ويجب أن يكون المراد من البينة ها هنا المعجزة؛ لأنه لا بد لمدعي النبوة منها، وإلا لكان متنبئًا لا نبيًا، فهذه الآية دلت على أنه حصلت له معجزة دالة على صدقه، فأما أن تلك المعجزة من أى الأنواع كانت فليس في القرآن دلالة، عليه كما لم يحصل في القرآن الدلالة على كثير من معجزات رسولنا) (١).

*- قـــولــــه: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ﴾ (الأعراف -١٩٣)

قال العلامة **ابن عاشور**:

(أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ) مُعَادِلَ (أَدَعَوْتُمُوهُمْ) مَعَ اخْتِلافِ الأُسْلُوبِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ بِالْفِعْلِيَّةِ وَالإِسْمِيَّةِ، فَلَمْ يَقُلْ: أَمْ صَمَتُّمْ، فَفِي «**تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ**»، عَنْ **ثَعْلَبٍ**: أَنَّ ذَلِكَ لأَنَّهُ رَأْسُ آيَةٍ (أَيْ لِمُجَرَّدِ الرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ) قَالَ: وَصَامِتُونَ وَصَمَتُّمْ عِنْدَ **سِيبَوَيْهِ** وَاحِدٌ (٢).

وقال **فضيلة الإمام الشعراوى** رحمه الله تفسيرًا مفصلاً ومبسطًا عن ذلك(٣):

كانوا في الجاهلية حين يفزعهم أمر جسيم ينادونهم ويقولون: يا هبل، يا لات، يا عزى، وإن لم

---

(١) مفاتح الغيب، للعلامة فخر الدين الرازي (ج١٤/ص١٤١).

(٢) التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور (ج٩/ص٢١٩).

(٣) خواطر الشعراوى، (ج٧/ص٤٣٣٢).

يصبهم أمر سكتوا عن نداء الأصنام، لذلك يقول لهم الله من خلال الوحى لرسوله (ﷺ) ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾ (الأعراف – ١٩٣).

أى إن دعوتكم لهم لا تفيد في أى أمر تماماً كصمتكم.

ونلحظ أن الأسلوب هنا مختلف ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ﴾ فلم يقل: «**أدعوتموهم أم صَمَتّم**»؛ لأن الفعل يقتضى الحدوث، ولنا أن نعرف أنهم كانوا لا يفزعون إلى آلهتهم إلا عند الأحداث الجسام أما بقية الوقت فقد كانوا لا يكلمونهم أبداً، لذلك جاءت « صَٰمِتُونَ » لازمة، لأنها اسم، والاسم يقتضى الثبوت والاستمرار، أما الفعل فيقتضى الحدوث والتجدد [(١)].

*–قوله: ﴿... يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ (الأعراف – ١٩٨)، {يُبْصِرُونَ} جاءت لأن المشركين صوروا التمثال وله رجلان وله أذنان وله عينان، ويضعون في مكان كل عين خرزة لتكون مثل حدقة العين، وحين ينظر إنسان منهم إلى التمثال يخيل إليه أن التمثال ينظر إليه[(٢)]،

ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿..يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ (الأعراف –

---

(١) خواطر الشعراوي، (ج٨/ص٤٥٢٢).

(٢) خواطر الشعراوي، (ج٨/ص٤٥٢٥).

قصة موسى

*- قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف - (١٠٣)؛ لأن موسى جاء بعد شعيب بزمان، ومعلوم أن (ثم) تفيد الترتيب على التراخي(١)

* قوله: ﴿.. قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ الأعراف- (١١٣)

وجاء في ثمانية مواضع أخرى بصيغة الاستفهام، قيل: إن السحرة تفاوتوا في انفعالاتهم مع الحدث؛ فالقوى منهم قال على سبيل التأكيد: ﴿إِنَّ لَنَا﴾ أي يشترط الأجر، أما الآخرون ممن يخشون فرعون فقالوا بنوع الاستفهام: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ - (٤١).

قال العلامة **فخر الدين الرازي**: وقيل أيضًا: المراد أن السحرة أثبتوا لأنفسهم أجراً عظيماً لأنهم قالوا: لا بد لنا من أجر، والتنكير للتعظيم كقول العرب: إن له لإبلاً، وإن له لغنماً؛ يقصدون الكثرة (٢)

*- ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ -الأعراف - ١٦٠، وفى البقرة: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ البقرة -٦٠

قال العلامة **فخر الدين الرازي:**

فيه ثلاث مسائل: **الأولى:** الانبجاس اسم للشق الضيق القليل، فهما مختلفان اختلاف العام والخاص فلا يتناقضان، **وثانيها:** لعله انبجس أولاً ثم انفجر ثانياً وكذا العيون يظهر الماء منها قليلاً ثم يكثر

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٩/ص ٣٤).

(٢) مفاتح الغيب، للرازي (ج١٤/ص١٦٤).

لدوام خروجه، **وثالثها**: لا يمتنع أن حاجتهم كانت تشتد إلى الماء فينفجر أى يخرج الماء كثيراً، ثم كانت تقل فكان الماء ينبجس، أي يخرج قليلاً (١).

*- قال سبحانه في موضع الأعراف: ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الأعراف- ﴿١٦١﴾ (اســكنوا قرنها بالواو- وكلوا- و لم يذكر رغداً):

أما في موضع سورة البقرة قال:

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الأعراف - ﴿٥٨﴾

(ادخلوا) قرنها بالفاء (فكلوا)، وأيضا ذكر معها (رغداً) وفي موضع آخر يقول: ﴿رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ البقرة- ﴿٣٥﴾ وهنا الحديث عن آدم.

فيها ثلاث مسائل:

قيل والله أعلم:

أ- في آية البقرة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾ البقرة – ٥٨، والكلام عن بنى إسرائيل، وفى آية أخرى في البقرة أيضاً يقول: ﴿رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ البقرة - ﴿٣٥﴾، والحديث عن آدم وزوجه.

---

(١) مفاتح الغيب، للرازي (ج٣/ص٨٩).

الفرق في المعنى أن قوله تعالى: ﴿حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾ تدل على أن هناك أصنافاً كثيرة من الطعام.

﴿رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾ يكون هناك صنف واحد والناس جائعون، فيقبلون على الطعام.

عندما يقول الحق جل جلاله: كلوا رغداً يكون المخاطب هنا نوعان: إنسان غير جائع ولذلك تعد له ألوانا متعددة من الطعام لتغريه بالأكل.. فتقدم في هذه الحالة «حيث شئتم» فيقال: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾.. فإذا كان الإنسان جوعان فهو يرضى بأي طعام.. فيقال: (رغداً حيث شئتم).

إن المسألة في القرآن الكريم ليست تقديماً وتأخيراً في الألفاظ.. ولكن المعنى لا يستقيم بدون هذا التغيير.

ب- قيل أيضا: يقول الحق هنا في سورة الأعراف: ﴿وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾، وفي آية سورة البقرة يقول: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾.

وحين أمرهم الله بالدخول وكانوا جوعى أمرهم الحق أن يأكلوا، على الفور والتوّ بتوسع، لذلك أتى بكلمة «رغداً»؛ لأن حاجتهم إلى الطعام شديدة وملحة، لكنه بعد أن أمرهم بالسكن أوضح لهم أن يأكلوا؛ لأن السكن يحقق الاستقرار ويتيح للإنسان أن يأكل في راحة وتأن، وقال الحق هنا في سورة الأعراف: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ الأعراف - (١٦١)، أي أنه قدم قولهم: «حطة» على السجود، وفي آية سورة البقرة قدم السجود فقال: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ...﴾ [البقرة: ٥٨].

جاء الحق بهذا الاختلاف لأنه علم أن انفعالات السامعين تختلف ساعة الدخول، فهناك من ينفعل للقول، فيقول أول دخوله ما أمر به من طلب الحطة وغفران الذنب من الله، وهناك آخر ينفعل للفعل فيسجد من فور الدخول تنفيذاً لأمر الله(١).

ج- في آية سورة البقرة يقول سبحانه:

﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ وفي آية سـورة الأعراف يقول:﴿ٱسۡكُنُواْ﴾، ونعلم أن الدخول يكون لغاية وهي السكن، أي ادخلوا لتسكنوا، وأوضح ذلك بقوله في سورة الأعراف: {اسكنوا} ليبين أن دخولهم ليس للمرور بل للإِقامة، وأراد سـبحانه أن يعطيهم الغاية النهائية؛ لأنه لا يسكن أحد في القرية إلا إذا دخلها، وهكذا نرى أن كلمات القرآن لا تأتي للتكرار، بل للتأسيس وللإِتيان بمعنى جديد يوضح ويبين ويشرح(٢).

د - قال الحق هنا في سورة الأعراف:

﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الأعراف - ١٦١

وفي سورة البقرة يقول: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَـٰيَـٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ البقرة -

ونعلم أن صيغة الجمع تختلف؛ فهناك «جمع تكسير» وجمع تأنيث، ففي جمع التكسير نغير من ترتيب حروف الكلمة، مثل قولنا «قفل» فنقول في جمعها: «أقفال». أما في جمع التأنيث فنحن نزيد على الكلمة ألفاً وتاء بعد حذف ما قد يوجد في المفرد من علامة تأنيث، مثل قولنا: «فاطمة»، و«فاطمات»، و«أكلة»، و«أكلات» وهذا جمع مؤنث سالم، أي ترتيب حروفه لم يتغير، وجمع المؤنث السالم يدل على القلة، لكن جمع التكسير يدل على الكثرة، فجاء- سبحانه- بجمع المؤنث السالم الذي يدل على القلة وبجمع التكسير الذي يدل على الكثرة لاختلاف درجات ونسب الخطايا؛

(١) خواطر الشعراوي (ج٧/ص٤٤٠١).

(٢) خواطر الشعراوي (ج٧/ص٤٤٠١).

لأن المخاطبين غير متساوين في الخطايا، فهناك من ارتكب أخطاء كثيرة، وهناك من أخطأ قليلاً، والاختلاف حدث أيضاً في عجز الآيتين، فقال في سورة البقرة: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وجاء عجز سورة الأعراف بدون «واو» فقال: ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ا.هـ. [1]

قلت والله أعلم:

الدخول يكون ابتداءً وفيه السرعة، فجاء معه (فكلوا بالفاء) التي تفيد السرعة – ولذلك تجد أنه هنا أمرهم بالدخول قبل (قولوا حطة) اتفاقاً مع سياق الحديث من حيث السرعة.

أما السكون ففيه الاستمرار، ولذلك قرن الفعل بالواو، (وكلوا) التي لا تشترط السرعة مثل الواو، ولذلك حسن أن يقدم (قولوا حطة) على أمر الدخول.

*- جاء بكلمة (رغداً) في البقرة:-

لأن ذكر الزيادة في المنة أبلغ في التوبيخ وسياق الآيات قبلها توبيخ لهم.

(١) خواطر الشعراوي (ج٧/ص٤٤٠٢)

سورة التوبة

١- قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ التوبة-٢

وقوله:﴿...فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة - ٣

في الأولى جاء ذكر المكان والزمان (في **الأرض** / **أربعة أشهر**) **وعبر بالواو**(...**واعلموا**).

في الثانية جاء ذكر الزمان ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ عبر بالفاء (فاعلموا).

فاعلم أنه ليس بتكرار، وقد تكون الفاء في الثانية مناسبة لكلمة (يوم) وفي الأولى الواو مناسبة لقوله: (أربعة أشهر)، لأن الفاء أحياناً قد تفيد السرعة والواو تفيد التراخي [(١)].

٢- قوله: ﴿... فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة - ٥).

وقوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (التوبة - ١١).

المراد بالأولى المشركون؛ لسابق ذكرهم في الآية نفسها وما سبق من آيات.

والمراد بالثانية اليهود لذكره في الآية رقم (٩): ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ يعني التوراة.

٣- قوله: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ

---

(١) البرهان، للكرماني، بتصرف كثير (ص٧٣).

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة - ﴿١٥﴾).

(قاتلوهم): فعل أمر جوابه الخمسة أفعال بعده (يُعَذِّبْهُمُ/يُخزِهِمْ /يَنْصُرْكُمْ / يشْفِ / يُذْهِبْ) لاحظ أن هذه الأفعال كلها مجزومة، لأنها في جواب الطلب — وعلامة جزمها السكون أو حذف حرف العلة.

وهناك مسألتان:

الأولى: ما الحكمة من مجيء كلمة (وَيَتُوبُ) مرفوعة و لم تجزم؟ وما الحكمة من تذييل الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ...؟

جوابه:

كلمة (وَيَتُوبُ) مرفوعة و لم تجزم لأن حرف الواو هنا يعمل عمل واو الاستئناف لا واو العطف وهذا بداية كلام جديد غير متعلق بما قبله معنى ولا لفظاً، لأن قتالهم لا يلزم التوبة عليهم، وإنما يلزم الخمسة أفعال بعده: (يُعَذِّبْهُمُ/يُخزِهِمْ /يَنْصُرْكُمْ / يشْفِ /يُذْهِبْ).

الثانية: التَّذْيِيلُ بِجُمْلَةِ (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) لِإِفَادَةِ أَنَّ اللَّهَ يُعَامِلُ النَّاسَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَأَنَّهُ حَكِيمٌ لا يَأْمُرُ إلا بِمَا فِيهِ تَحْقِيقُ الْحِكْمَةِ، فَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ امْتِثَالُ أَوَامِرِهِ، وَأَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تكثيراً للصلاح [1].

٤- قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة - ﴿١٠٦﴾).

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور -بتصرف- (ج١٠/ص١٣٧).

هذا هو الموضع الثاني في السورة الذي ذكر في نهاية الآية التوبة مقرونة باسم الله (عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

قال القشيرى:

(لم يصرّح بقبول توبتهم، و لم يَسِمْهُمْ باليأس من غفرانه، فوقفوا على قدم الخجل، متميلين بين الرهبة والرغبة، متردّدين بين الخوف والرجاء. أخبر اللّه – سبحانه – أنّه إن عذّبهم فلا اعتراض يتوجّه عليه، وإن رحمهم فلا سبيل لأحد إليه، قال بعضهم:

ويشبعني من الآمال وعد ومن علمى بتقصيري وعيد[1] اهـ.

قيل أيضاً: لأنه هنا قال: ﴿مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ فأجل الحكم عليهم وذكر كلمة (يُعَذِّبُهُمۡ) قبل التوبة فحسن الختام بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

٥- قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ – (التوبة – ٨٩). بدون كلمة (أَبَدًا). وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (التوبة – ١٠٠). بزيادة كلمة -(أَبَدًا).

---

(١) لطائف الإشارات، للقشيرى (ج٢/ص٦١).

قلت:

الموضع الثاني ذكر فيه (الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) وقد يكون من أجل ذلك جاء قوله: (أبداً)؛ زيادة في الثناء عليهم، والله أعلم [1].

٦- مسألة:

إذا سألت أحدًا: هل الجهاد بالمال أشد أم الجهاد بالنفس..؟

كل الناس تقريباً سيقولون الجهاد بالنفس أصعب وأشق.

قوله تعالى: ﴿وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ..﴾ (التوبة-٢٠).

إذا تتبعت الجهاد بالمال والنفس في القرآن ستجد أنه قد ذكر تسع مرات، خمس مرات في التوبة وقبلها النساء والأنفال وبعدها الحجرات والصف.

في كل هذه المواضع تقدم المال على الجهاد، إلا في موضع واحد في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم.﴾ (التوبة-١١١).

فالله لا يعنيه النفس ولا المال [2].

٨- قوله: ﴿..يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ (التوبة - ٢٩) فائدة إضافة (وهم) أن حالهم دائماً هو الصغار ولا يؤدون الزكاة ولا تقبل منهم إلا وهم في حالة من الصغار فهي حال وليست خبرًا [3].

---

(١) هذه الناظرة لها شاهد من كتاب الاعتقاد والهداية للبيهقى – وضح فضلهم وفصل فى الثناء عليهم – تحت عنوان: (القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ج١/ص٣١٧).

(٢) د. راغب السرجاني، فى محاضرة الجهاد بالمال.

(٣) ذكرها القرطبي فى تفسيره وأسهب فيها (ج٨/ص١١٥).

٩- مسألة:

قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (التوبة - ٣٢).

وقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ - ٨ - (الصف).

قال العلامة ابن عاشور:

وجيء بهذا التركيب في سورة التوبة لشدة مماحكة أهل الكتاب وتصلبهم في دينهم، ولم يجأ به في سورة الصف[٨] إذ قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾؛ لأنّ المنافقين كانوا يكيدون للمسلمين خفية وفي لين وتملّق[١]

١٠- مسألة:

قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

---

(١) التحرير والتنوير (ج١٠/ص٧٣).

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ – (التوبة ٤٠).

ما الحكمة من ذكر كلمة (هي) مع قوله: (كلمة الله)، و لم يذكرها سبحانه مع قوله: ﴿.. كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ؟

إن (كلمة) الأولى مفعول به، أما الثانية فلو قال: (كلمةَ) بالفتح تصبح كأنها مفعول به وكأنها مرتبطة بالفعل جعل – أي كأنها لم تكن العليا ثم جعلها الله العليا – وهذا لا يستقيم، فكلمة الله دائماً وأبداً العليا، لذلك جاءت خبرية مرفوعة.

قال فضيلة الإمام الشعراوي رحمه الله:

لم يقل: وجعل كلمة الله هى العليا؛ لأنها ليستْ جَعْلاً لأن الجَعْل تحويل شيء إلى شيء، أما كلمة الله فهي العليا بداية ودائماً، وإنْ علت كلمة الباطل إلى حين(١).

وقال إسماعيل حقي الإستانبولي:

{وَكَلِمَةَ اللّهِ} أي: التوحيد أو الدعوة إلى الإسلام، وهي بالرفع على الابتداء **{هِيَ}** ضمير فصل لدفع توهم أنه قد يفوق غير كلمة الله **{الْعُلْيَا}** إلى يوم القيامة، وهو خبر المبتدأ، وجعل الله ذلك بأن أخرج رسوله من بين الكفر.

وقرأ يعقوب (كلمة الله) بالنصب عطفاً على كلمة (الذين)– هو ضعيف - لأنه يشعر بأن كلمة الله كانت سفلى ثم صارت عليا وليس كذلك، بل هى عالية في نفسها أبدًا.

وفى"مناظرات المكي" لو قال أحد: « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله » وقطع و لم يقل: (وكلمة الله هى العليا) كان كافراً إن كان عمداً (وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) في أمره وتدبيره وحكمه(٢).

١١– مسألة:

---

(١) خواطر الشعراوي (ج١٨/ص١١٣٠٩).

(٢) تفسير روح البيان (ج٢/ص٣٣١).

قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ (التوبة - ٤٣):

فهذا التعبير غاية في الجمال والروعة لعتاب الحبيب لحبيبه، كما جاء في بعض التفاسير، فقدَّم العفو أولاً وقرَّره(١).

وإن كان هناك قول آخر (عفى بمعني سكت(٢))، أي إن الله سكت عن إظهار الحكم عليهم ووكله للنَّبيِّ، وفي هذا الأمر تفصيل، والله أعلم بمراده.

١٢- مسألة:

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة- ٥٥).

وقوله: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة- ٨٥):

---

(١) خواطر الشعراوي، بتصرف (ج١٤ /ص٨٨٦٩).

(٢) هذا القول له شاهد من حديث النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الذى رواه سلمان: (الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه) - الجامع الصحيح سنن الترمذي (ج٤/ص٢٢٠)، وحسنه الألباني.

فى الموضع الثانى آية (٨٥) يتحدث عن قوم قد ماتوا لقوله في الآية (٨٤) قبلها: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ (التوبة - ٨٤)، ولا يوجد اســـتمرار لعملهم، فالآية (٨٥) غير متعلقة بالآية (٨٤)، فحسن استخدام (الواو).

وهذا خلاف الموضع الأول الآيتين (٥٤/٥٥)، فالكلام عن قوم أحياء لقوله:

(وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ) (وَلَا يُنفِقُونَ) لذلك حسن التعقيب (بالفاء)[1].

١٣- مسألة: قوله: ﴿...سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (التوبة - ٣١).

الوحيدة في القرآن بهذا السياق غير مقرونة بقوله: (وتعالى) أو (سبحان الله).

قال الإمام الشنقيطى رحمه الله:

(هَذِهِ الآيَةُ فِيهَا التَّنْصِـــيصُ الصَّرِيحُ عَلَى أَنَّ كُفَّارَ أَهْلِ الْكِتَابِ مُشْرِكُونَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِيهِمْ: (سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)، بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ وُجُوهَ شِرْكِهِمْ)[2].

١٤- مسألة: يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ (التوبة - ٣٥)

ما الحكمة من أن الله خَصَّ هذه الأماكن بالعذاب...؟

لأن كل جارحة من هذه الجوارح لها مدخل في عدم إنفاق المال في سبيل الله، كيف؟ مثلاً: تجدون

---

(١) كشف المعانى فى المتشابه من المثانى لابن جماعة (ج١/ص١٩٦).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - للشنقيطى (ج١/ص١١١).

الوجه هو أداة المواجهة، وإذا رأيت إنساناً فقيراً متجهاً إليك ليطلب صدقة، وأنت تعرف أنه فقير وقد جاءك لحاجته الشديدة، فإن كان أول ما تفعله حتى لا تؤدي حق الله أن تشيح بوجهك عنه، أو تعبس ويظهر على وجهك الغضب، فإن هذا الفقير يحس بالمهانة والذلة؛ لأن الغنى قد تركه وابتعد عنه، فإذا لم تنفع إشاحة الوجه واستمر الفقير في تقدمه من الغني، فإنه يعرض عنه بأن يدير له جنبه ليحس بعدم الرضا، فإذا استمر الفقير واقفاً بجانبه فإنه يعطي له ظهره.

إذن، فالجوارح الثلاث قد تشترك في منع الإنفاق في سبيل الله، وهي: الوجه الذي أداره بعيداً، ثم أعطاه جانبه، ثم أعطاه ظهره. هذه هى الجوارح الثلاث التى تشترك في منع حق الله عن الفقير، ولذلك لا بد أن تُعذَّب فتُكْوى الجباه والجنوب والظهور(١).

---

(١) خواطر الشعراوي (ج٨/ص٥٠٦٩)

بعض اللطائف والفوائد ومسائل خاصة بالتجويد في السورة:

مسألتان في التفخيم والترقيق:

الأولى: قوله: ﴿..وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ (التوبة – ١٣)، كلمة (بإخراج) من المعتاد أن ينطقها القراء بالتفخيم النسبي أى لا تصل إلى أعلى درجات التفخيم؛ بعلة أنها مسبوقة بكسر، وهذا خطأ، والدليل من المتن للعلامة الإمام المتولي رحمه الله[1]:

*وخاءُ إخراج بتفخيمٍ أتت * من أجل راءٍ بعدها إذْ فخِّمتْ. ا.هــ.*

الثانية: قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة – ١١٤).

هذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي جاءت فيه كلمة (استغفار) حرف (الغين) مسبوق بكسر، وهى ساكنة، لذلك حكمها أدنى درجات التفخيم.

*مسألة من دقائق الأمور في فن التجويد:

قوله: ﴿...شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ...﴾ (التوبة – ١٧):

يراعى أن الفاء من صفاتها أنها رخوة، أما الراء فبينية، وهى من حروف (لن عمر)، وهذه الحروف متوســـطة بين الشدة والرخاوة، لذلك فإن زمن نطق الفاء أطول يسيراً من زمن النطق بالراء، وهذا من دقائق الأمور التى لا يعلمها إلا الحُذّاق في هذا الفن[2].

---

(١) هداية القارى إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي.

(٢) ذكرها الشيخ /محمد حسن – معلم القرآن- بمعهد أبي بن كعب ومقدم برنامج لرواية ورش على قناة الرحمة.

مسألة في العقيدة تبطل قول الفرقة الزاعمة (إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص):

قوله: ﴿...فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ...﴾ (التوبة - ١٢٤).

*- لطيفة في إعجاز الفاظ القرآن:

قوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة - ١٢٧).

قال ابن عباس: يكره أن يقال انصرفنا من الصلاة؛ لأن قومًا انصرفوا فصرف الله قلوبهم، ولكن قولوا: قضينا الصلاة؛ أسنده الطبري عنه. قال ابن العربي: وهذا فيه نظر، وما أظنه بصحيح فإن نظام الكلام أن يقال: لا يقل أحد: انصرفنا من الصلاة؛ فإن قوما قيل فيهم: {ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}. أخبرنا محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ حدثنا أبو الفضل الجوهري سماعا منه يقول: كنا في جنازة فقال المنذر بها: انصرفوا رحمكم الله، فقال: لا يقل أحد (انصرفوا) فإن الله تعالى قال في قوم ذمهم: (ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) ولكن قولوا: انقلبوا رحمكم الله فإن الله تعالى قال في قوم مدحهم: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٤] [1].

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي. (ج٨/ص٣٠٠).

قال تعالى: ﴿... إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (هود – ٤١).

وقال تعالى: ﴿...إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف – ٥٣).

الأولى من كلام نوح لقومه وهم قوم حديثو الإيمان، وقد يكون عندهم بعض الريبة والشك، والأمر يحتاج إلى توكيد؛ لذلك قال لهم نوح: (لغفور) بزيادة اللام.

أما الثانية فكما جاء في التفسير (للقشيرى وأحد قولي أبى بكر الأنبارى) إنه من قول يوسف عليه السلام وقد قاله في مقام ذم النفس، حينما استشعر أنه مدح نفسه حين قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ (يوسف ٥٢).

فأعقبها بقوله: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (يوسف – ٥٣) فلا حاجة للتوكيد[1].

(١) أحكام القرآن للقرطبى، (ج٩/ص٢٠٩).

سورة يوسف

١- لطيفة حول السورة:

ورد في القرآن ألفاظ (يعملون يفعلون يصنعون) فحتى لا يحدث لك إشكال في ذلك، فاعلم أن كل ما جاء في يوسف – يعملون – و لم يرد فيها يفعلون أو يصنعون.

٢- قوله: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾ (يوسف - ١٧).

وقوله: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ (يوسف- ٨٢).

ما سبب اختلاف السياق في قول إخوة يوسف عليه السلام فمرة قالوا:﴿وَلَوۡ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾وفى الأخرى قالوا: ﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾؟

قلت والله أعلم:

فى الأولى لم يكونوا صادقين وكما قيل: (كاد المريب يقول: خذوني) [(١)]، أما في الثانية عندما كانوا بالفعل صادقين فأكدوا ب(إن) وبـــ(اللام) فقالوا: ﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ والله أعلم.

٣- ذكر بعضهم لطيفة عن مقام الدعوة إلى الله وأهميتها:

عندما سُئل يوسف من صاحبيه في السجن عن تأويل الرؤيا، لم تأت إجابته مباشرة، ولكن قدم لها بحديث مطول عن التوحيد ونبذ الشرك، ثم جاء التأويل موجزاً في كلمات، نأخذ من ذلك دليلاً على أهمية الدعوة إلى الله حتى في أصعب الظروف، فوجود يوسف عليه السلام في السجن لم

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي.

يجعله يغفل عن استغلال الفرصة لدعوة كل أهل السجن للتوحيد[1].

٤- قوله: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ (يوسف - ٥٩):

قيل في التفسير: كان في المرة الأولى أبطأ في تجهيزهم ليتعرف أخبارهم من حيث لا يشعرون، ولذلك لم يعطف بالفاء وقد أسرع في تجهيزهم في المرة الثانية قصدًا إلى انفراده بأخيه بدون رقيب [2].

٥- قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف-٨٤).

إن الفقيد هنا شقيق يوسف، فما الحكمة من قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾؟

قيل: إن شدة حزنه الأول على يوسف قد طمت وعفت على أى حادث يصيبه بعد ذلك فكلما أصابه شيء تذكر مصيبة فقد يوسف.

٦- *قوله:* ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف ٥٥):

---

(١) قلت والله أعلم: وقد عنت لي هذه الخاطرة بشأن دخول يوسف عليه السلام إلى السجن: كما قيل – قد تأتي العطية فى طي البلية، وقد تكون المنحة فى طي المحنة – لقد أتي، الفرج ليوسف من حيث لا يحتسب أحد، أتاه من داخل محبسه، ذلك أنه داخل السجن كان شاغله الأكبر قضية التوحيد وهي القضية التي ربي عليها النَّبيِّ صلي الله عليه وسلم أصحابة فى صدر الدعوة ثلاث عشر عاماً بمكة، وكأنها رسالة لمن أدخل يوسف السجن تقول: كما أدخلتموه السجن ظلماً بغير ذنب فأنتم الذين ستخرجونه من السجن وأنتم فى أمس الحاجة إلى مشورته، بل وستجعلونه فيكم وزيراً، وكما قيل كن لله كما يريد، يكن لك فوق ما تريد.

(٢) تفسير السراج المنير، (ج٢/ ص ١٠٠.)، نظم الدرر للبقاعي (ج٤ ص ٧٦).

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: قد يقول قائل: أليس في قول يوسف شبهة طلب الولاية؟ والقاعدة تقول: من طلب الولاية لا يولَّى؟

فالإجابة أن يوسف عليه السلام لم يطلب ولاية، وإنما طلب الإصلاح ليتخذ من إصلاحه سبيلاً لدعوته وتحقيقاً لرسالته، حيث إنه كان آمراً فيستجاب، و لم يكن مأموراً للإيجاب؛ حيث إنه كان واثقاً بالإيمان ومؤمناً بوثوق.

وقد تأتي ظروف لا تحتمل التجربة مع الناس، فمن يثق بنفسه أنه قادر على القيام بالمهمة فله، أن يعرض نفسه(١).

المسألة الثانية: وهي بشأن قوله سبحانه: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف–٥٥):

وقوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص – ٢٦).

قلت والله أعلم: قوله: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ مناظرة لقوله في القصص: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص– ٢٦): ارجع للبند ٦ في القصص.

٦– قول الله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (يوسف – ٩٨).

وَعَدَهُمْ بِالاسْتِغْفَارِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِذْ قَالَ: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي لِلدَّلالَةِ عَلَى أَنَّهُ يُلازِمُ الاسْتِغْفَارَ لَهُمْ فِي أَزْمِنَةِ الْمُسْتَقْبَلِ. وَيُعْلَمُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فِي الْحَالِ بِدَلالَةِ الْفَحْوَى وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَهُمْ إِلَى عِظَمِ الذَّنْبِ وَعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ سَيُكَرِّرُ الاسْتِغْفَارَ لَهُمْ فِي أَزْمِنَةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ. وَقِيلَ: أَخَّرَ الاسْتِغْفَارَ لَهُمْ إِلَى سَاعَةٍ هِي مَظِنَّةُ الإِجَابَةِ.

---

(١) خواطر الشعراوي، (ج١١/ص ٦٩٩٨).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا أَنَّهُ أَخَّرَ إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فِي رِفْعَةِ نَظَرٍ[1].

يوسف / (القصص)

١- قوله:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف - ٢٢)

وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (القصص - ١٤):

ذكر الكرمانى أن يوسف أوحى إليه في البئر، وموسى أوحى إليه بعد الأربعين، أي أنه كان أكبر سناً من يوسف ولذلك أتت هذه الزيادة[2].

وقيل أيضاً إن هذا نظير ما جاء في الأحقاف؛ حيث قال الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ثم قال بعدها: ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾.

قلت والله أعلم: دليله قول الله سبحانه: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (يوسف-١٥).

كان ذلك في البئر وكان يوسف حينها صبياً، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (ج١٢/ص٥٤).

(٢) أسرار التكرار فى القرآن، لمحمود بن حمزة الكرمانى (ج١/ص١١١).

سورة الرعد

١- جاء قول الله سبحانه في سورة الرعد ثلاث مرات ولكن بتذييل مختلف للآية:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ (الرعد - ٧).

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ (الرعد - ٢٧).

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (الرعد-٤٣).

قلت والله أعلم:

الأولي: هى هداية الإرشاد فقط وهى وظيفة الأنبياء والرسل.

الثانية: هى هداية الإلهام وهذه تكون من عند الله، بدليل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ (محمد - ١٧).

ذكر ابن القيم أن هناك هداية ثالثة وهذه تكون يوم القيامة وهي هداية للسير وعبور الصراط فعلي قدر سيرك في الدنيا يكون سيرك في الآخرة على الصراط [(١)].

٢- قوله: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم

---

(١) مدارج السالكين، (ج١/ص١٥).

بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ (الرعد- ١٤).

ما الحكمة من هذا التشبيه للذين يدعون من هو دون الله سبحانه...؟

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس في الآية قال: هذا مثل المشرك الذي عبد مع الله غيره، فمثله كمثل الرجل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر عليه[١].

٣- قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ (الرعد - ١٥): ما الحكمة من تخصيص هذا التوقيت بالسجود: ﴿ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ ...؟

قلت: إن حركة الظل تكون في أوضح صورها في هذا الوقت، حيث يتحول الظل من جهة إلى أخرى عند الشروق وعند الغروب وقيل: إن هذا هو سجود الظل، والله أعلم[٢].

٤- قوله تعالي في الآية ٣٠: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا...﴾ ٣١ الرعد -.

---

(١) فتح القدير للشوكاني، (ج٤/ص١٠٤).

(٢) هذه الناظرة لها شاهد ذكرها النيسابورى فى كتابه: إيجاز البيان عن معاني القرآن، (ج ١/ ص٤٥٥).

ما سر ذكر القرآن والحديث عنه في الآية التي تلي الآية ٣٠؟

الإجابة والله أعلم:

ذُكر في التفاسير(١) أن المعنى (أننا كما أرسلنا كل نبي بمعجزة ظاهرة مناسبة لقومه فبمثل هذا الإرسال فكذلك أرسلناك بمعجزة القرآن) لذلك الحديث في الآية بعدها عن القرآن.

٥- مسألة في باب الموصول والمقطوع في الرسم العثماني:

قوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ...﴾ الرعد - (٤٠)

لم تأت - وَإِن مَّا - مقطوعة أي كلمتين منفصلتين إلا في الرعد وفي غيره جاءت موصولة كلمة واحدة (إما).

الرعد / سبأ

عادة ما يحدث لبس بين آيتين في الرعد وسبأ:

قوله: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُ...﴾ (الرعد- (١٦)).

وقوله: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ.﴾ (سبأ - (٢٤)).

قلت والله أعلم:

فأما الآية الأولى فتناولت الدلائل الكونية علي ربوبية الله: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُ...﴾ (الرعد- (١٦)).

حيث توسطت آيات تتناول الدلائل الكونية في ملكوت الله من رفع السماوات ومد الأرض وتعاقب الليل والنهار والزرع والنخل والبرق والرعد والصواعق وإنزال المطر، أما الآية الثانية فتناولت قضية

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي - د وهبة بن مصطفى الزحيلي.

الرزق ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ (سبأ - ٢٤).

فهو سبحانه الخالق وهو الرازق لخلقه.

الرعد / محمد

جاء قول الله سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ في موضعين في القرآن بتنزيل مختلف.

الموضع الأول: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ (الرعد - ٣٥).

الموضع الثاني: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ (محمد - ١٥).

قلت والله أعلم:

هناك لطيفة للتذكرة وتمييز كل موضع عن الآخر؛ فقد ذكر الله الأنهار مجملة في الأولى ثم فصل في موضع سورة محمد، والله أعلم بمراده سبحانه، إنما هذه منارات فقط للتذكير.

سورة إبراهيم

١- ورد في البقرة وفى الأعراف: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أما في إبراهيم فجاءت: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ (إبراهيم -٦). بزيادة حرف الواو.

قال الشعراوى وكذلك الكرمانى: في البقرة والأعراف الحديث لله، أما في إبراهيم فالحديث لموسى حيث أمره الله أن يذكرهم بأيام الله والمحن التى تعرضوا لها ومنة الله عليهم أن نجاهم من هذه المحن (فعندما جاءت في معرض التذكير وتعدد النعم وعلى لسان موسى فالمقال يلزمه حرف الواو)، أما التى في البقرة والأعراف فالكلام لله، والله لم يعدد عليهم المحن[1].

٢- ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٍ..﴾ (إبراهيم – ٩).

و في مواضع أخرى مثل سورة سبأ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِى قَرۡيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ (سبأ - ٣٤)؟

الإجابة والله أعلم:

في هذا الموضع توضيح لشدة كفرهم؛ فقد قدموا في ردهم علي الرسل الكفر أولاً وابتداءً على الشيء الذي كفروا به.

٣- ﴿... وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (إبراهيم- ١١)-الوحيدة في القرآن.

والآية بعدها: ﴿..وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم -١٢)؟

---

(١) خواطر الشعراوي(ج١٢/ص٧٤٤٤) وأسرار التكرار للكرماني (ج١/١٢٠).

الإجابة والله أعلم:

التوكل يلزمه تحقيق الإيمان أولاً حتى يتم التوكل على الله حق التوكل[١].

٤- قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِىَ فِى ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ (إبراهيم- ٣٢)،

وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ (طه - ٥٣).

ما هو وجه الإفراد في إبراهيم والجمع في طه؟

الإجابة والله أعلم:

تحدث في آية طه العلامة أبو بكر الجزائرى [٢]، وذكر القرطبى في هذه الآية عدة أقوال منها: (انتهى كلام موسى عند قول الله: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، ثم قال الله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾، فحدث التفات في الكلام ليحدث انتباه للسامع وإيقاظ للغافل، إلى أن كلام موسى انتهى والكلام لله سبحانه[٣].

وهناك قول آخر للشعراوي هو: كما أن إنزال الماء من السماء ليس لأحد عمل فيه، لكن عندما يخرج النبات قد يكون لنا عمل مثل الحَرْث والبَذْر والسَّقْي وخلافه، لكن هذا العمل مستمد من الأسباب التي خلقها الله لك؛ لذلك لما تكلم عن الماء قال: ﴿ أَنْزَلَ ﴾ فلا دَخْل لأحد فيه، ولما تكلم عن إخراج

---

(١) البرهان للكرماني – بتصرف يسير، (ص٩٣).

(٢) أيسر التفاسير، للجزائرى؛ (ج١/ص٧٢٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (ج١١/ص٢٠٩).

النبات قال: ﴿أَخْرَجْنَا﴾؛ لأنه تتكاتف فيه صفات كثيرة، تساعد في عملية إخراجه، وكأن الحق تبارك وتعالى يحترم عملك السيي ويُقدِّره[1].

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله مسألة لطيفة في هذا السياق يجدر ذكرها:

(وَلِمُلاحَظَةِ هَذِهِ النُّكْتَةِ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ هَذَا الالتِفَاتِ عِنْدَ ذِكْرِ الإنْبَاتِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ...﴾ [الأنعام: ٩٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا...﴾ [فاطر: ٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ... ﴾ [النَّمْل: ٦٠] وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ [١١]: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ﴾. وَقَدْ نَبَّهَ إِلَى ذَلِكَ فِي «الْكَشَّافِ»، وَلِلَّهِ دَرُّهُ. وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ[2].

قلت والله أعلم:

لذلك قد تكون(نا) العظمة هنا إشارة إلى قدرة الله المطلقة في إخراج الزرع.

قلت والله أعلم:

أما ما جاء في إبراهيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ (إبراهيم - ٣٢) بصيغة المفرد، فهذا

(١) خواطر الشعراوى (ج١٥/ص٩٢٩١).

(٢) التحرير والتنوير (ج١٦/ص٢٣٥).

جاء كله في معرض قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ (إبراهيم - ٢٨) وقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا..﴾، فالخطاب كله لله في حق هؤلاء الذين جعلوا لله نداً، فيناسب الند والشرك والكفر أن يأتي الكلام الموجه إليهم بالإفراد إعلاماً من الله إلي المشركين بأنه سبحانه أحد صمد فقال سبحانه: (أنزل) / (فأخرج به) / (وسخر لكم الفلك) / (وسخر لكم الأنهار) / (وسخر لكم الشمس) / (و سخر لكم الليل والنهار)، هذا والله بأعلم بمراده من كلامه سبحانه.

٥- لطيفة حول قوله سبحانه:وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ **(إبراهيم - ٣٥)**: إن إبراهيم عليه السلام قد حطم الأصنام بيديه فما الذي دفعه إلى هذا الدعاء ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾؟

قيل والله اعلم:

إنه عليه السلام وإن كان يعلم أنه تعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه ذكر ذلك هضماً للنفس وإظهاراً للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل المطالب[١].

قلت والله أعلم:

وهذا يذكرنا بأن النَّبِيَّ (ﷺ) وهو المعصوم كان كثيراً ما يسأل الله التثبيت علي الحق وتصريف قلبه على الطاعة، وكما روى عن أبي سفيان ويزيد عن أنس قال: كان النَّبِيُّ (ﷺ) يكثر أن يقول: "*اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك*".

قال الإمام الألباني: صحيح [٢].

---

(١) تفسير الرازي (ج١٩/ص١٠٥).

(٢) الأدب المفرد للبخاري – بأحكام الألباني – (ج١/ص٢٣٧).

وكما روى عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ، تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلاَةٍ[1].

قال الإمام الألباني: صحيح.

---

(١) سنن ابن ماجه (ج١/ص٦٦).

١- قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ (إبراهيم - ٣٤).

وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (النحل- ١٨):

قلت والله أعلم:-

(سورة النحل تسمى سورة النعم؛ لأنها اشتملت علي ذكر الكثير من نعم الله على خلقه، لذلك تناسب معها أن يكون التذييل للآية بقوله: (غفور رحيم)؛ حيث يتناسبان مع سورة النعم والسياق العام للسورة من تعدد نعم الله)أ.ه.

ومن وجه آخر هذا رد على المستشرقين الذين يسعون في آيات الله معاجزين والله من ورائهم محيط، بما يقيده من علماء للرد عليهم، فقد قيل في الجمع بين الآيتين، (إن الله لغفور رحيم للإنسان بالرغم من ظلم الإنسان) [1] مصداقاً لقوله سبحانه في سورة الرعد: ﴿.. وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (الرعد- ٦).

---

(١) خواطر الشعراوي – بتصرف (ج١/ص٢٠٢٥).

سورة الحجر

١- قوله: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ (الحجر -٤).

وقوله: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ (الشعراء -٢٠٨).

فما حكمة زيادة حرف الواو في الحجر؟

الإجابة والله أعلم:

جُمْلَةُ: ﴿وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَكَفَاكَ عِلْمًا عَلَى ذَلِكَ اقْتِرَانُهَا بِالْوَاوِ؛ فَهِيَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ عُمُومِ أَحْوَالٍ، وَصَاحِبُ الْحَالِ هُوَ قَرْيَةٍ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ نَكِرَةً فَإِنَّ وُقُوعَهَا فِي سِيَاقِ النَّفْيِ سَوَّغَ مَجِيءَ الْحَالِ مِنْهُ كَمَا سَوَّغَ الْعُمُومُ صِحَّةَ الاخْبَارِ عَنِ النَّكِرَةِ.

وَجُمْلَةُ: ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ بَيَانٌ لِجُمْلَةِ:﴿وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ لِبَيَانِ فَائِدَةِ التَّحْدِيدِ: أَنَّهُ عَدِمَ الْمُجَاوَزَةِ بَدْءًا وَنِهَايَةً[1].

وقوله: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ (الشعراء -٢٠٨).

تَذْكِيرٌ لِقُرَيْشٍ بِأَنَّ الْقُرَى التِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ وَالَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ قَدْ كَانَ لَهَا رُسُلٌ يُنْذِرُونَهَا عَذَابَ اللَّهِ لِيَقِيسُوا حَالَتَهُمْ عَلَى أَحْوَالِ الْأُمَمِ التِي قَبْلَهُمْ.

وَالاسْتِثْنَاءُ مِنْ أَحْوَالٍ مَحْذُوفَةٍ. وَالتَّقْدِيرُ: وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ إِلاّ فِي حَالٍ لَهَا مُنْذِرُونَ. وَعُرِّيَتْ جُمْلَةُ الْحَالِ عَنِ الْوَاوِ اسْتِغْنَاءً عَنِ الْوَاوِ بِحَرْفِ اسْتِثْنَاءِ، وَلَوْ ذُكِرَتِ الْوَاوُ لَجَازَ كَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ (الحجر -٤) وَعَبَّرَ عَنِ الرُّسُلِ بِصِفَةِ الإِنْذَارِ لأَنَّهُ الْمُنَاسِبُ

---

(١) التحرير والتنوير (ج١٤/ص١٥).

للتهديد بالإهلاك[١].

ذكر النيسابوري رأيًا آخرك﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]: سبب تخصيص تلك الآية بالواو وهذه بعدم الواو؛ فنقول: لا ريب أن الواو تفيد مزيد الربط والاجتماع في الحال، وفي الوصف إن جوزنا: فسواء قدرنا الجملتين أعني قوله: ﴿وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] وقوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] حالاً أو وصفاً، فالمقام يقتضى ورود النسق على ما ورد؛ وذلك أن قوله: (ولها كتاب) صفة لازمة للقرية، فإن الكتب في اللوح وصف أزلى، فناسب أن يكون في اللفظ ما يدل على اللزوم والالتصاق وهو الواو، ثم زيد في التأكيد بقوله: (معلوم) وبقوله: (ما تسبق)، وهذا بخلاف قوله: (لها منذرون) فإنها صفة حادثة، فأطلقت وجود صدر الجملة عن الواو، لذلك والله أعلم هذه الواو عند النحويين تسمى واو الحال، أو أن تكون الجملة صفة والواو جاءت لشدة التصاق الصفة.

٣- قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر - ٧٥).

٤- وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الحجر - ٧٧).

---

(١) التحرير والتنوير (ج١٩ /ص١٩٨).

الإجابة والله أعلم: هذا يسمى (جمع المدلول ليدل بها على دليل واحد، ولم يأت له نظير إلا في العنكبوت، فالمتوسمون هم المتفرسون والذين رأوا المدلولات التي سبقت من إهلاك من سبق فأخذها المؤمنون دليلاً على وحدانية الله، لذلك عندما ذكر المؤمنين قال (آية) بالإفراد، فالمؤمنون موحدون، ومثلها في العنكبوت: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت - ٢٤). وهي قصة إبراهيم ولوط ومدين وإنجاء الله لهم وللمؤمنين وإهلاك الآخرين، (وقارون وفرعون وهامان)، ثم بعد ذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

---

(١) البرهان للكرماني، بتصرف (ج٤/ص١٤).

سورة الحجر / الشعراء

١- قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الحجر - ﴿١٣﴾

وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ الشعراء-﴿٢٠١﴾

قلت والله أعلم وذلك للربط بين الموضعين:

قال في الحجر: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، والمقصودد بهذه السنة كما جاء في التفسير هو إهلاك من استهزأ وكذب بالرسل من الأمم السابقة بأنواع العذاب المختلفة، وفى الشعراء وضَّح وفصَّل ما هى هذه السنة، وأيضا جاءت في معرض الحديث عن الأمم السابقة وإهلاكهم بأنواع العذاب المختلفة، فاقتضى قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ وهذه علامة للتذكير فقط وليس بتأويل، والله أعلم بمراده سبحانه.

سورة النحل

١- قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل- ﴿٦﴾):

ما الحكمة من مجيء الترتيب في السورة عكس الترتيب المعروف، فصاحب الأنعام في الصباح المبكر يذهب بها للمرعى وهو ما يسمى (تسرحون)، وفى نهاية اليوم يرجع بالأغنام وهو ما يسمى (تريحون).

الإجابة والله أعلم:

(حين تســـرح الأنعام في الصـــباح تكون غير ممتلئة الضروع بالحليب وتكون هزيلة الشكل مقارنة بشـــكلها بعد الرجوع من المرعي مساءاً وقد شبعت وامتلأت الضروع بالحليب فعندما ينظر إليها

صاحبها يجد فيها جمالاً أكثر من منظرها في أول النهار)[1].

٢- ﴿... فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (النحل - ٢٦):

من المعلوم أن السقف يخر من فوق، فما الحكمة من قوله سبحانه: ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾؟

الإجابة والله أعلم:

من عادة كلام العرب أن أحدهم إذا كان يملك بستاناً أو حائطاً أو بنياناً أن يقول: (خر علينا سقف أو وقع علينا حائط) وإن لم يقع عليه بالمعنى القريب للأذهان، فحتى لا يتوهم السامع ذلك المعنى ويقع في شك من المعنى فذكر (من فوقهم) حتى يكون المعنى المقصود أهم هلكوا وأهم كانوا تحته حين سقط عليهم.

٣- ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: وردت في القرآن عدة مرات بتذييل مختلف (ما لم يترل به سلطانا/ما لا ينفعهم ولا يضرهم/أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم).

أما في هذه السورة فقد جاءت: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـًٔا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ (النحل - ٧٣)؟

قلت والله أعلم:

هذه السورة هى سورة النعم، لذلك ناسب الآية أن تذيل بقوله: ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـًٔا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ (النحل- ٧٣).

لأن الرزق يتناسب مع النعم، وسورة النحل تسمى سورة النعم.

---

(١) التحرير والتنوير (ج١٤/ص١٠٥).

٤- قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (النحل- ٧٨).

و قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ السجدة- ٩.وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ (المؤمنون- ٧٨).

قلت والله أعلم: في النحل التي هي سورة النعم سياق الآيات يقتضي الإحسان والمنة والترغيب فذيلت بقوله ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

أما سورة السجدة فقد توسطت آيات ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾... ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾... ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ﴾ فناسب السياق الذي هو في معرض الحديث عن المجرمين والكافرين أن تذيل الآية بقوله: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾.

وفي المؤمنون أيضا توسطت آيات: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾... ﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ ... ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ﴾...﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ

﴿ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ فناسب السياق الذي هو في معرض الحديث عن (الذين لا يؤمنون بالآخرة ومنكري البعث) ناسبه أن تذيل الآية بقوله: ﴿قَلِيلاً مَّا تَشۡكُرُونَ﴾.

أما في الملك:

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ‌ۖ قَلِيلاً مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ (الملك - ٢٣).

فتماماً مثل المؤمنون والسجدة فجاءت في معرض الحديث عن: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّہِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ‌ۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا﴾، وقوله: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصۡحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، وقوله: ﴿...إِنِ ٱلۡكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾.. ﴿..بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ﴾، فناسبها أن تذيل بقوله:﴿قَلِيلاً مَّا تَشۡكُرُونَ﴾.

هذه خاطرة ولافتة للتذكير فقط، والله أعلم بمراده سبحانه.

٥- في نفس الآية السابقة نفسها قال: (السمع) بالإفراد و(الأبصار والأفئدة) بالجمع.

الإجابة والله أعلم:-

لو أننا في مكان وسمعنا صوتاً فالكل سيسمعه بنفس الكيفية، فالسمع فيه توحد، أما البصر فكل منا ينظر إلى اتجاه مختلف، كذلك لكل منا قلب له هوى مختلف عن الآخر وإدراك مختلف.

أما ما جاء في الإسراء فجاء بالإفراد: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ (الإسراء- ٣٦)، فسبب الإفراد أن كل إنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده، يقول سبحانه: ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ (مريم- ٩٥) فكل إنسان سيُسأل عن سمعه هو وبصره هو وفؤاده هو[1].

وقد ذكر د/عبد الكريم الخطيب تفصيلاً رائعاً مطولاً في هذا الأمر، يحسن ذكر بعض مقتطفات منه[2]:

"والمتتبع لآيات اللّه، التى تتحدث عن السمع والبصر، يجد أن القرآن الكريم قد فرّق بين السمع والبصر، في الصورة التى عبّر بها عن كل منهما.

فأما عن السّمع.. فقد التزم فيه القرآن الكريم الإفراد مطلقاً، سواء اقترن به البصر أم لم يقترن.. وسواءً أجاء منكّراً، أو معرفاً بأل أو بالإضافة.

ولم يقع في القرآن مجيء السّمع جمعاً في أي حال من أحواله.. ولم يرد في القرآن لفظ «الأسماع» أبداً..

يقول اللّه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ (الكهف: ١٠١).. ويقول سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ﴾ (الأحقاف:٢٦) ويقول تعالى: ﴿.. وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾ (الجاثية: ٢٣) ويقول جلّ وعلا: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ﴾ (الأحقاف: ٢٦) ويقول تبارك

---

(١) تفسير الشعراوي، (ج١/ص٣٠٩٢).

(٢) التفسير القرآني للقرآن، (ج٦/ص١٠٠١).

وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ (الأنعام:٤٦).

ويلاحظ في الآيات القرآنية التي ورد فيها « السمع » أنه يقترن دائماً بالبصر، أو الأبصار، فإن لم يقترن بهما اقترن بحال من أحوال الإنسان التي يكون فيها في ذهول وغفلة وشرود.. كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ (الشعراء:٢٢١ ــ ٢٢٣).

وقوله سبحانه:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).. فالقلب هنا يقوم مقام البصر، في كشف معالم الطريق إلى الهدى والنور.. وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (الكهف:١٠١) فالعيون التي في غطاء عن ذكر اللّه، هي العيون التي لا تتصل معطياتها بعقل أو قلب، وهي الأبصار المعطلة التي لا تعمل! وأما عن البصر.. فقد عبّر عنه القرآن بصيغة الإفراد، وبصيغة الجمع.

وذلك في حال إفراد البصر بالذكر دون أن يقترن به السمع.

فقد جاء البصر مفرداً مثل قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم: ١٧) وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ (القمر: ٥٠)، وقوله جلّ شأنه: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ...﴾ (الملك: ٤)، وجاء البصر جمعاً، **غير مقترن بالسمع، كقوله تعالى:** ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ **(الأحزاب: ١٠) وقوله سبحانه:**

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).. وقوله: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ (الحشر: ٢).

كذلك جاء البصر جمعاً مقترنا بالسّمع، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ﴾ (الملك: **٢٣**) **وقوله جل شأنه:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ (المؤمنون: **٧٨**) .

وقوله سبحانه: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ (**الأنعام:٤٦**). وهكذا جاء وضع السمع في كلام اللّه، مخالفاً بينه وبين البصر.. حيث يجيء السّمع مفردًا دائماً، ويجيء البصر مفرداً وجمعاً.. وأكثر ما يجيء البصر جمعاً إذا اقترن بالسّمع ـــ وقد جاء السّمع مفرداً مقترناً بالبصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ (**الإسراء: ٣٦**) والسرّ في هذا ـــ واللّه أعلم ـــ هو أن بين السمع والبصر اختلافاً من وجوه:

والصوت، السمع طريق إلى شيء واحد، هو الصوت.. والصوت، وإن اختلف قوة وضعفاً، ورقّة وخشونة.. فهو ـــ على أي حال ـــ شيء واحد، في النوع، وإن اختلف في الدرجة.

أما البصر فهو طريق إلى هذا الكون كلّه، وما فيه من عوالم وأكوان، وما في كل عالم وكون، من ناطق وصامت، ومتحرك وثابت، وجامد وسائل.. فالبصر، ذلك مما في العالم الأرضي من كائنات، وما في السماء من شمس، وقمر، ونجوم، وكواكب... وكلها مختلفة متغايرة.

فالبصر، بالقياس إلى السّمع، هو إبصار.. يتعامل مع ما لا يحصى من الأشياء، حتى إنه في النظرة

الواحدة يفتح عشرات القوى المبصرة، فتجيء إليه بأكثر من منظور!

وثانيا: السمع، لا يستطيع أن يضبط أكثر من صوت واحد، في حال واحدة.. ولطغت عليه الأصوات، وذاب بعضها في بعض، وعسر على الإدراك، عزلها، وتمييزها.

والبصر.. ينقل كثيراً من المرئيات في حال واحدة، ويحتفظ لكل مرئي بصورته، دون أن تختلط بغيرها.. وينقلها إلى الإدراك منفصلة، كما ينقلها إليه متصلة.

فهو ــ من هذه الجهة ــ أكثر من حاسّة.. إنه أبصار، وليس بصرا واحدا..

وثالثا: السّمع مقيّد بوجود الصوت، الذي يتعامل معه.. فإذا لم يكن هناك صوت، تعطّل السّمع، وخيم عليه صمت رهيب!.

أما البصر، فهو عامل دائماً، فحيثما فتح الإنسان بصره وجد ما ينقله إليه بصره من أشياء لا تكاد تحصى.. في أي مكان، وفى أي زمان.

فالبصر بالقياس إلى السمع هنا، هو إبصار كثيرة.. لا عدّ لها ولا حصر.

ورابعا: وأكثر من هذا كلّه ــ وهو في النظم القرآنى بالمحلّ الأول ــ هو أن البصر يستطيع أن يمسك بالأشياء، ويقف ما شاء له الوقوف إزاءها، ويعاود النظر إليها، مرة ومرة ومرات.. ويتفحصها من جميع وجوهها..

والسمع بمعزل عن هذا؛ إذ لا يستطيع أن يمسك بالصوت أكثر من اللمسة العابرة التى تمرّ به.. وفى هذا يقول اللّه: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ (الملك: ٣-٤).

ومن هنا، كان البصر، أبصاراً، في معاودته النظر إلى الأشياء، وفى تفحصها، والنظر إليها من جميع جهاتها، من قرب ومن بعد..

ومن هنا أيضاً كان التفات القرآن الكريم إلى النظر، وتوجيهه إلى ملكوت السماوات والأرض، وعقد صلة وثيقة بينه وبين القلب..

يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (يونس: ١٠١)

ويقول سبحانه: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ ﴾ (**الأنعام: ٩٩**).. ويقول جل شأنه: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ (العنكبوت: ٢٠).. ويقول سبحانه:

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ﴾ (الروم: ٥٠)

أ.هـــ.

٦- قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (النحل - ٦٧).

ما الحكمة من قوله سبحانه: (حسناً) بعد (رزقاً) و لم يأت بعد: (سكراً)...؟

الإجابة والله أعلم:-

يقول أهل التذوق القرآني والفهم العالي: (لقد بيت الله للخمر أمراً لأنه قال: (سكراً) وسكت ثم قال (رزقاً) ووصفه بأنه (حسناً) [1].

٧- قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ (النحل - ٨٠).

---

(١) خواطر الشعراوى (ج١٣/ص٨٠٤٨).

لماذا وضعت علامة -لا-علامة منع الوقف، أو عدم قطع القراءة كلية، أو عدم جواز البدء من هذا الموضع- (هذه العلامات توفيقية من وضع لجان ضبط المصحف وليست توقيفية من الله، لذلك تجدها تختلف من مصحف إلى آخر حسب اللجنة).

الإجابة والله أعلم:

المانع هنا من الابتداء وليس الوقف؛ لأن قوله (أثاثاً) معمول للفعل جعل في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ فيوجد اتصال في اللفظ (أي من جهة الإعراب) والمعني، وأما في حال الوقف والابتداء من قوله: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾، فالواو العاطفة هنا ستصبح واو استئناف أي استئناف كلام ويصبح شبه الجملة خبراً متقدماً مبتدأه المتأخر ﴿أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا﴾، وفى هذا الحال سيكون بالرفع لأنه لا يوجد ما ينصبه بعد أن فصلناه عن الفعل (جعل)، ولكن لا شك أن (أثاثاً ومتاعاً) مفعول للفعل (جعل) منصوب، فامتنع الوقف لعدم الإيهام [(١)].

٨- قوله: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ (النحل - ٨٤).

في موضـــع الآخر في ذات الســـورة: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ (النحل- ٨٩).

---

(١)الشيخ احمد عريف.

الإجابة والله أعلم:-

في الموضع الثاني توجد الظرفية وهي قوله: (في) لذلك قال: (شاهداً عليهم) أما في الأولى فلم يقل: (شاهداً عليهم) فقد تكون شاهداً على غيرهم [1].

٩- ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾

(النحل - ٢٠).

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلاً﴾ (الإسراء - ٥٦).

﴿ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا﴾ (مريم - ٨١).

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (الفرقان-٣)، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ﴾ (يس - ٧٤). سيأتي في بند (٥) في الإسراء.

---

(١) احمد عريف.

سورة النحل / الحديد

قوله سبحانه في سورة النحل: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (النحل - ٦٤).

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ (النحل - ٦٥).

السماع هنا مقصوده التدبر والإنصاف وهو تعريض بالمشركين الذين لم يفهموا دلالة ذلك على الوحدانية؛ ولذلك اختيار وصف السمع هنا المراد منه الإنصاف والامتثال لأن دلالة المطر وحياة الأرض به معروفة مشهورة، ودلالة ذلك على وحدانية الله تعالى ظاهرة لا يصد عنها إلا المكابرة(١).

قلت والله أعلم:

للربط بين هذا الموضع وما جاء في سورة الحديد:

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (النحل - ١٧).

هذه إشارة إلي أن الوحي الذي نزل به جبريل علي النَّبيِّ صلي الله عليه وسلم (القرآن) هو حياة

---

(١) التحرير والتنوير (ج١٤/ص١٩٨).

النفوس والأرواح وهذا هو ما جاء في أول سورة النحل:

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ.. ﴾ (النحل - ٢).

كما جاء في التفسير (١)، ولا ينتفع بذلك إلا الأحياء دون الأموات، لذلك والله أعلم ختم بقوله: ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾.

سورة الإسراء

١- جاء في سورة الإسراء السمع والبصر والفؤاد بالإفراد ﴿...إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً﴾ (النحل - ٣٦).

الإجابة والله أعلم:

سورة النحل البند(٥).

٢- جاء في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء - ٩).

أما ما ورد في سورة الكهف:﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾(الكهف-٢).

الإجابة والله أعلم:

لاحظ أن فواصل سورة الإسراء جاء قبل آخر كل حرف في الكلمة حرف من حروف المد (أ.و.ي)، وهذا في السورة كلها...مثال:- البصير، وكيلاً، شكوراً، كبيراً، مفعولاً، نفيراً، (عدا

---

(١) أيسر التفاسير لأبى بكر الجزائرى (ج١/ص٧٤٩).

موضعين تقريباً)...لذلك تناسب معها قوله: ﴿ أَجۡرًا كَبِيرًا ﴾.

أما سورة الكهف فالحرف قبل الأخر في كل كلمة عبارة عن حرف متحرك فتناسب معها قوله: ﴿ أَجۡرًا حَسَنًا﴾.

٤- قوله: ﴿مَذۡمُومًا مَّدۡحُورًا﴾..﴿مَذۡمُومًا مَّخۡذُولاً﴾... ﴿مَلُومًا مَّحۡسُورًا﴾.... ﴿مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾. فما هو الفرق بين هذه الكلمات:

الإجابة والله أعلم:

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا﴾ (الإسراء - ٢٩).

المحســـور مثل الجمل المحسور الذي لا يستطيع القيام بحمله كان النَّبيِّ (ﷺ) لا يدخر شيئاً لغد وكان يجوع حتي يشد الحجر على بطنه، وكان الكثير من الصحابة ينفق كل ماله في سبيل الله، فلم يعنفهم النَّبيَّ ولم ينكر عليهم (لصحة يقينهم وشدة بصائرهم) وإنما نهي الله عن الإفراط في الإنفاق وإنفاق ما حوته يداه من مال(من خيف عليه الحســـرة على ما أخرج من يده) أما من وثق بموعود الله عز وجل وجزيل ثوابه على ما أخرج من مال فهو غير مراد بالآية، والله أعلم [(١)].

وقيل: إنه خطاب للنَّبيِّ (ﷺ) في خاصة نفسه، وعلمه الله كيف يكون الإنفاق ويأمره بالاقتصاد؛ لما رواه جابر وابن مسعود من أن غلاماً أتى النَّبيَّ (ﷺ) فقال: أمي تسألك كذا وكذا، فقال: ما عندنا اليوم شيء، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، فخلع قميصه وقعد في بيته عرياناً. وفى رواية جابر فعندما أذن بلال للصلاة لم يخرج النَّبيِّ (ﷺ) فانشغلت القلوب فدخل الصحابة على النَّبيِّ (ﷺ) فوجدوه

---

(١) تفسير القرطبي (ج١٠/ص٢٤٩).

عرياناً.

وكل هذا في إنفاق الخير، أما إنفاق الشر فقليله وكثيرة حرام.

ذكر القرطبي القصة وقال أوردها الواحدي في أسباب الترول.

زاد الكرماني (فلامه أصحابه على ذلك)(١).

٤- مسألة: قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ الإسراء - ﴿١٨﴾

وقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء - ﴿٢٢﴾)، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء- ﴿٣٩﴾).

الآية الأولى وإن كانت مذيلة بالعاقبة في الآخرة وإنما ذلك نتيجة عمل الدنيا: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء- ﴿١٨﴾).

قال القرطبي: (هذه صفات المنافقين الفاسقين والمرائين المدَّاحين يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل عملهم في الآخرة، وليس لهم في الدنيا إلا ما قسم لهم)(٢).

و الآية الثانية أيضـــاً في الدنيا، والثالثة في الآخرة، وفى كل منهما نهى عن الشرك وأمر بالتوحيد: ﴿

(١) البرهان للكرمانى (ص١٠٤).

(٢) أحكام القرآن للقرطبى (ج١٠/ص٢٣٥).

﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾... أول الآية ٢٢... ثم كرر: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ...وسط الآية ٣٩ وهو ليس تكرار.

قلت والله أعلم:

لقد أمر الله بالتوحيد أول هذه الآيات حيث قال أول الآية (٢٢): ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾ (الإسراء - ٢٢).

وهذا في الدنيا فإن عاقبة الشرك المذمومة: البعد عن كل خير والخذلان بأن لا يجد له نصيراً من دون الله لأنه اتخذ من دونه إلهاً آخر.

ثم أعطانا الله القواعد والخطوات التي بها يستقيم المجتمع في ١٦ أية:

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ و﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ و﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ و﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٍ﴾، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾ ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ﴾ ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِ﴾ و﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾ و﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ و﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾...ثم بعد ذلك ذكر مرة أخرى التوحيد مقروناً بقوله:

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ

﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء - ٣٩).

قد يتوهم أحد أنه تكرار وهو ليس بتكرار.

قال الإمام الشعراوى رحمه الله:

قد يأتي زمان على الناس يحسنون الظن ببعض المفكرين فيأخذون بأقوالهم ويسيرون على منهاجهم، ويفضـــلونه على منهاج الحق تبارك وتعالى، فيفتنون الناس عن دينهم الحق إلى قضايا أخرى يوهمون الناس أنها أفضـــل مما جاء به الدين، لذلك لا يكتفى بأن تؤمن بالله أولاً وحســـب، بل إن التوحيد مســـتمر معك، بل هو العبرة من الخلق، لذلك احذر بعد أن شهدت لله بالوحدانية أن تجعل مع الله إلهـــه آخر يفتنك عن دينك فتكون النتيجة: ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، ملوماً لأنك أتيت بما تلام عليه، مدحوراً أي مطروداً مبعدا عن رحمة الله وهذا في الآخرة[1]، ولم يقل ملوماً محسوراً، وقد تكون العلة في ذلك القصة التي ذكرناها في البند (٣) بعاليه آنفاً والتي أوردها الواحدي والقرطبي عن جابر وابن مسعود.

٥- مسألة مهمة: قلت والله أعلم:

قد يكون في الأولى أمر بالتوحيد الخالص والثانية نهى عن العدول عن المنهاج الرباني إلي القوانين الوضعية من أهواء البشـــر- خاصة إذا تعارضت مع المنهاج الرباني- لذلك قال قبل الموضع الثانى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ويجدر الإشارة إلى أن تفسير لا تقف كما قيل[2] (لا تتبع من العقائد ما ليس لك به علم) ولكن اتبع ما أوحى إليك: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ

(١) خواطر الشعراوي (ج١٤/ص٨٥٥١).

(٢) القاموس القويم (ج٢/١٢٨).

وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ (الإسراء - ٣٩).

٦- قوله: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا﴾ (الإسراء - ٦٩).

الإجابة والله أعلم: الآية الأولى ذكر فيها (وكيلاً) وذلك في الحياة؛ حيث إنه لم يرد في الآية ذكر موهم، فالوكيل يكون للأحياء.

أما في الثانية فقال: (فيغرقكم)، وبما أهم ماتوا فيناسبها (تبيعاً) لأن التبيع هو الذي يتبع القاتل للأخذ بالثأر[1].

٧- ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ (النحل - ٢٠).

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ (الإسراء - ٥٦).

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا﴾ (مريم - ٨١).

---

(١) تفسير الشعراوى (ج١٤/ص٨٦٧٩).

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ (الفرقان – ٣).

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ﴾ (يس – ٧٤).

قلت والله أعلم:

فى الإسراء جاء لفظ الألوهية ١٠ مرات أما الربوبية فقد جاء ٣٢ مرة، لذلك – والله أعلم – كنى بالضمير؛ فقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ (الإسراء – ٥٦). أما في النحل التى هى سورة النعم ويناسبها لفظ الجلالة فلم يكنِّ بالضمير وذكر لفظ الألوهية صريحاً: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أما في مريم ويس فقال: ﴿وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾؛ لأن قبلها (نا) العظمة فصرح وذكر لفظ الجلالة، أما في الفرقان فقد كنى بالضمير فقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ لأنه في الآيات قبلها لم يذكر لفظ الجلالة ولكنه كني سبحانه وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ /ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فناسبها الضمير، وأستغفر الله إن قلت في كتاب الله بغير مراده سبحانه، إنما ذلك علامة للتذكير ومنارات على الطريق فقط.

٨- قوله سبحانه:﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾ (الإسراء- ٥).

لم ينسبهم سبحانه إلى نفسه فلم يقل: (عبادي أو عبادنا)، لأن هؤلاء قد يكونون بختنصر وجنوده فهم لم يكونوا مؤمنين فلم ينسبهم سبحانه وتعالى إلى نفسه؛ لأن في ذلك شرفا لهم وهم كفار، وكما روى عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: (إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ) [١].

٩- قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ (الإسراء - ٢٣).

و قوله: ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ (الإسراء - ٢٨).

ما وجه الكلام بالمثنى ثم قوله: كريماً في الأولى، والكلام بالجمع في الثانية وقوله: (ميسوراً).

الإجابة والله أعلم:

لا خلاف على أن الأولى عن الوالـــدين: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ أما الثانية فمن آداب رد السائل -إذا جاءك وليس معك ما تعطيه- أن تقول له قولاً ميسوراً، ودليل ذلك أنه قال قبلها في ذات الآية: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا...﴾، قيل إن الرحمة هى الرزق تنتظره[٢] من الله حتى تعطى هذا السائل، والله أعلم.

١٠- قوله: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ

(١) السنن الكبرى للنسائي (ج٨/ص١٤٦).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (ج١٠/ص٢٤٨).

لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء - ٢٥).

وقـــولـــه: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (الإسراء - ٥٤):

لأن من الأبناء مَنْ يبرّ أبويه، وهو يدعو الله في نفسه أنْ يُريحه منهما، فجاء الخطاب بصيغة الجمع: { رَّبُّكُمْ } أي: رب الابن، وربّ الأبوين؛ لأن مصلحتهم عند الله سواء [1].

---

(١) خواطر الشعراوي (ج١٤/ص٨٤٧٨).

الإسراء / الرحمن

قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ (الإسراء - ٨٨).

وقـــولـــه: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ (الرحمن- ٣٣).

قلت والله أعلم:

قـــدم الإنس في الأولى لتميزهم عن الجن في البيـــان وعلم الكلام، وقدم الجن في الثانية لتفوقهم في القدرات الخارقة لطبيعة الإنس، والله أعلم.

سورة الكهـــف

١- جاء في ســـورة الإســـراء: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ (الإسراء-٩)

أما ما ورد في ســـورة الكهف: ﴿قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾ (الكهف - ٢).

انظر بند (٢) في الإسراء:

٢- ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا﴾ (الكهف - ١١).

خص الأذن لأنها الحاســة التي تعمل حتى عندما ينام الإنســان وهى أول حاسة تتكون عند الطفل

المولود، فإنه يسمع أولاً ثم يرى بعد ذلك.

٣- قوله:﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ (الكهف- ٢٤).

و قوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (القصص – ٢٢).

الإجابة والله أعلم:

فى القصص خرج موسى لا يقصد وجهة معينة بعينها، فهو لا يسأل الهداية لمكان بعينه لذلك قدم(رَبِّيٓ) وآخر(أَن يَهۡدِيَنِي) [1].

٤- سبب قول الله: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ (الكهف – ٢٥).

التسع سنين هى فرق التقويم الهجري والميلادي.

٥- في قصة الخضر قال مع السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ...﴾ ومع الغلام: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾، وفي الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

الإجابة والله أعلم:

أراد الخضر عليه السلام أن ينسب الفعل المعيب وهو خرق السفينة إلي نفسه لا إلي الله، أما في الثانية فنسب القتل لنفسه (فأردنا) والمنة نسبها إلى الله (أن يبدلهما ربهما) وفي الجدار ففيه أمر غيبي مستقبلي وهو قوله (يبلغا أشدهما) فقال (فأراد ربك) [2].

---

(١) أوردها الإمام الشعراوى رحمه الله في خواطره بإسهاب عن ذلك (ج١٧/ص١٠٩٠٢).

(٢) لمسات بيانية (ج١/ص٧٤٠).

لطيفة لبعض العلماء: وكأن الخضر عندما قال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ...﴾ نادي عليه مناد: (وهل لك إرادة؟) فقال في الثانية: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾، فنودي عليه: (وهل أشركت إرادتك مع إرادة الله) فتجرد تماما في الثالثة ووكل الأمر كله لله، فقال: ﴿ فأراد ربك ﴾.

لذلك قال: ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ (١).

٦- ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ (الكهف - ٧١).

قيل والله أعلم:

إن قول موسى عليه السلام: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وضح - مدى إيثار الغير على النفس - الذي يتصف به موسى حيث انصرف جل همه إلى أصحاب السفينة و لم يذكر نفسه.

٧- ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ (الإسراء-٩٧).

الإجابة والله أعلم:

من قواعد البلاغة أن الزيادة في المبني زيادة في المعنى، فتعبير (ٱسْتَطَـٰعُوا۟) فيه حرف (تاء) زيادة على (ٱسْطَـٰعُوٓا۟)، ومعلوم أن (لَهُۥ نَقْبًا) أصعب من (أَن يَظْهَرُوهُ)؛ لأن خرق حائط أصعب من تسلقه، لذلك ناسب (أن يظهروه) قوله: (اسطاعوا) لأنه أسهل، وكذلك ناسب: (لَهُۥ

---

(١) حقائق التفسير لأبى عبد الرحمن محمد السلمى (ج١/ص٤١٧) بتصرف كثير.

نَقْبًا) قوله: (ٱسْتَطَٰعُواْ)[1].

٨- لطيفة تذكر والله أعلم بصحتها:

فى حكم السكت عند حفص في التقاء (عوجا) مع (قيماً) (انتبه إلى أن ألف عوجا ساكنة وليس عليها تنوين - أى إذا وصلت الآيتين فاحذر أن تنون الألف - وإن كان وصل الآيتين غير حسن في المعنى، وقد يوهم معنى لا يستقيم؛ ذلك أنه حال الوصل قد يوهم بوصف العوج بأنه قيم، لذلك فالوقف أولى.

٩- مسألة في الرسم العثماني [2]: صحب – صاحب:

في الآية (٣٤) من سورة الكهف يقول الله سبحانه على لسان صاحب الجنتين: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف- ٣٤).

حيث جاءت كلمة (لِصَٰحِبِهِۦ) بألف متروكة لتبين ما كان يظنه مالك الجنتين من أن صاحبه ملتصق به التصاقاً كاملاً سواء في الرفقة أو الإيمان...

غير أن الرد يأتيه من صاحبه المؤمن في الآية (٣٧) من نفسها السورة: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ حيث جاءت كلمة (صَاحِبُهُ) بألف صريحة فارقة لتوضح لقارئ القرآن أن هذه الصحبة في الرفقة فقط، وأما في الإيمان فهناك افتراق ومسافة بينهما.. وقد جاء هذا المعنى أيضاً

---

(١) أسرار البيان للسامرائى (ج١/ص١١).

(٢) ما ذكر عاليه جزء من كتاب الإعجاز اللغوي والبياني فى القرآن الكريم.

لعلي بن نايف الشحود ،الباحث فى القرآن والسنة.

هذا الكتاب قد جمع فيه مؤلفه ما تناثر من الإعجاز اللغوي والبياني مما كتب على النت وقد بلغت حوالي مائة وأربعين بحثا لعلماء أجلاء معاصرين، فجزاهم الله خير الجزاء.

بحيث تكون هذه الأبحاث إسهاما منهم فى توضيح فكرة الإعجاز اللغوي والبياني فى وقت أصبحنا فيه كالأعاجم.

واضحاً في حق الرسول (ﷺ) حينما نُسب إلى قومه، فجاءت كلمة (صاحبكم) بالألف الصريحة مفرقة بينه وبين قومه في الإيمان، بالرغم من مصاحبته لهم في المكان والزمان.. وذلك في الآيات الكريمة الآتية:

﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦].

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ٢].

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ٢٢].

﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾[سبأ: ٤٦].

غير أنه حين يتكلم القرآن الكريم عن سيدنا أبي بكر صاحب رسول الله تأتي (صحبه) بألف متروكة لتبين مدى الالتصاق بينهما وتوضح الصحبة الحقيقية في الرفقة والإيمان:

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وهذا يبين جزءاً من الحكمة في كتابة الكلمة القرآنية باستخدام الألف الصريحة والمد بالألف المتروكة كما سبق أن أوضحنا[(١)]. ا.هـ.

ولاحظ أنه كما يوجد إعجاز في المتشابهات فأيضاً هناك إعجاز في تشابه الرسم واختلافه للكلمة الواحدة، فقد تأتي الكلمة بنفس النطق مع اختلاف الرسم، وقد يكون ذلك لاختلاف الروايات االقرآنية مثل كلمة(سَٰحِر) في سورة طه، فهي تكتب بالألف الخنجرية لأنها تنطق (سحر) وتنطق (ساحر) باختلاف الروايات، وأيضاً في أمر المتشابهات الذي يعنينا في هذا البحث

---

(١) من أراد التفصيل فى أمر الرسم العثماني وإعجازه فليرجع إلى الكتاب المشار إليه ففيه تفصيل ممتع، والكتاب موجود على المكتبة الشاملة تحت بند (علوم القرآن).

اختلاف الرســـم مع اتحاد النطق له دلالات مختلفة كما وضح صاحب الكتاب المشار إليه في الفرق بين كلمتى (صـــاحب وصـــحب)، ولولا أننا لسنا بصدد تناول الرسم لوسعنا في هذا المجال، ففيه إعجاز وبلاغة تزيدك من الإحساس بجمال وروعة هذا القرآن، ونكتفي بذكر هذه اللطيفة:

وردت كلمة: (ٱلسَّمَـٰوَٰت) – بمشتقاتها المختلفة – بهذا الرسم بدون ألف صريحة ١٨٩ مرة في القرآن الكريم كلـــه... ووردت مرة واحدة فقط بألف صـــريحة بعد حرف (و) بالرســـم القرآني (سَمَـٰوَاتٍ) وذلك في الآية الكريمة رقم (١٢) من ســـورة فصـــلت والتي يقول سبحانه فيها: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[1]. (أيها): وردت (١٥٤) مرة كلها منادى إلا موضعاً واحداً في سورة الكهف.

وهو قول الحق عز وجل: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ (الكهف-١٩).

(١) ارجع إلى تفصيل ذلك فى الكتاب المشار إليه.

سورة مريم

١- قول الله تعالى: ﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ (مريم - ٧).

ثم قول الله محدثاً عن ذاته تبارك وتعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ (مريم-٦٥).

ما الحكمة من قوله سبحانه: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ عندما تحدث عن يحيى عليه السلام.

الإجابة والله أعلم:

فى حق يحيى قال: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ لأنه لم يسمّ أحد بـــ(يحى) من قبله [١].

و قال الله في حق ذاته سبحانه وتعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾.

الإجابة:

لقد سمعنا وعلمنا عن من يدعى الألوهية، فمنهم من قال (أنا ربكم الأعلى) ومنهم من سمي نفسه (رحمان اليمامة)، ولكننا لم نســـمع عن من تجرأ فســـمى نفســـه (الله)، وهذا من إعجاز القرآن، فسبحانك (ربنا) ليس لك سميّ[٢].

لطيفة حول قوله سبحانه: ﴿جَبَّارٗا عَصِيّٗا﴾ ﴿جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾

وقوله في قصة يحيى: ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ (مريم - ١٤).

وقوله في المسيح: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي﴾ (مريم - ٣٢).

---

(١) روح البيان (ج٥/ص٢٤٢).

(٢) التحرير والتنوير (ج١٦/ص١٤٣) بتصريف كثير، وخواطر الشعراوى (ج١٥/ص٩٠٣٣).

الإجابة والله أعلم:

ذكر القرطبي [١] في التفسير أن يحيى عليه السلام لم يعص ولم يقترف ذنباً، وذكر الكرماني[٢] في كتابه (البرهان) أن ذلك الخبر قد ورد عن النَّبيِّ (ﷺ): (ما من أحد من بني آدم إلا أذنب أو هم بذنب إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام [٣]، فناسب ذلك قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم -

قلت والله أعلم:

من الأشياء التي يكتبها المَلَك عندما يكون الجنين في رحم أمه أنه يكتب ما قدره الله لهذا الجنين (شقي أم سعيد)، فقد يكون من أجل ذلك قرن لفظ (شَقِيًّا) مع لفظ (وَلَمْ تَجْعَلْنِي).

٤- قوله في قصة يحيى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم - ١٥).

وقوله في المسيح: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم - ٣٣).

الإجابة والله أعلم:

نكر في الأولى وعرف في الثانية؛ لأن الأولى من كلام الله سبحانه عن يحيى، والقليل من الله كثير [٤]. وقيل: إن (آل) في قول عيسى عليه السلام: "والسلام" عهدية، كأنه يقول: إن السلام المذكور

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج١١/ص٧٣).

(٢) البرهان للكرماني (بند ٢٩٠ ص١١٢).

(٣) مسند ابن أبي شيبة بلفظ مختلف (ج١١/ص٥٦٢).

(٤) ارجع إلي تفصيل ذلك في البرهان للكرماني (ص١١٢/بند ٢٩١).

ليحيى إنما هو عليَّ أيضـــا، أو أن تكون للجنس، فعلى ذلك يكون جنس السلام على عيسى عليه السلام، وهو أشمل وأبلغ وأعظم نعمة.

قال أحمد عريف – مختاراً القول الثاني:

وَقَوْلُـــهُ فِي خبَرِ يَحْيَى (وَســـلاَمُ) [١]   نَظِيرُهُ فِي قَوْلِ عِيسَى:(وَالسَّلاَمُ) [٢]

فَــقَـيـلَ: إِنَّ (أَلْ) فـيهـا لِلْعَهـدْ   كــأَنــَّهُ يــقــُولُ: هــذَا عـِنـــدِي

وَقِـيـلَ: إِنَّ (أَلْ) فـيهـا لِلْجِنْسِ   وَهـذَا مـا أَخـتـارُهُ بـِنـَفْســي

٤– قوله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ (مريم– ١٦).

وقوله سبحانه: ﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ (مريم– ٢٢).

الإجابة والله أعلم: ذكر القرطبي نقلاً عن الطبرى وأيضاً ذكر ابن عباس رضى الله عنهما معنى متقارباً مختصره: (أن النصارى يقدسون جانب الشرق لأنه منه تسطع الأنوار، أي شروق الشمس، وذلك أن مريم كانت موقوفة لخدمة الدير فاعتزلت الناس للعبادة وكانت في شرق الدير.

أما الآية الثانية فمعلوم أن مريم ذهبت إلى مكان قصي في بيت لحم على بعد ٤ أميال من إيلياء (فلسطين حالياً) [٣].

٥– قوله سبحانه: ﴿.. وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ (مريم – ٦٢).

---

(١) فى قوله تعالى فى سورة مريم عن نبيه يحى عليه السلام: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾ آيـــــة ١٥.

(٢) أي قوله تعالى فى نفسها السورة حكاية عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّا ﴾ آية ٣٣.

(٣) تفسير القرطبي (ج١١/ص٩٣).

لطيفة من أقوال السلف حول الآية:

ســُئل سهل بن عبد الله التسترى عن الرجل يأكل الوجبة الواحدة فقال: هذا طعام الأنبياء، وسُئل عن الرجل يأكل الوجبتين فقال: هذا طعام المؤمنين-وقد يكون والله اعلم قد استند إلى هذه الآية- ثم سُئل عن الرجل يأكل الثلاث وجبات فقال: (قولوا لأهله يبنوا له معلفاً)[1].

سورة طه

١- لطيفة:

ذكر اسم الله الذي وردت بعض الأحاديث أنه الاسم الأعظم للملك سبحانه (الحي القيوم) ورد في القرآن في ثلاثة مواضع (البقرة/ آل عمران/ طه).

٢- ذُكرت قصـــة موســـى عندما آنس ناراً هنا وفى النمل والقصـــص بسياق مختلف في كل مرة بمترادفات وألفاظ قد تشتبه على الحفاظ فالآتي بعض منها:

قال هنا: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ (طه- ١٠).

وفى النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (النمل- ٧).

فكرر: آتيكم وقال قبس، و لم يقل: امكثوا.

أما في القصص: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (القصص -٢٩).

---

(١) كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية (ج١/ص١٧٩).

فما الحكمة من قوله: (امكثوا) وقال: (جذوة) بدل (قبس) و لم يكرر (ءاتيكم)؟

الإجابة والله أعلم:

في النمل من شدة تيقن موسى أنه يرى ناراً قال: (شهاب قبس)، والشهاب القبس عبارة عن شعلة النار قبل أن تخمد، لذلك ناسبه أن يكرر مرتين (سآتيكم) وأيضاً لم يقل: (امكثوا) لأنه يتيقن من سرعة عودته.

وفي طه والقصص لم يكن على درجة اليقين نفسها من أنها ما زالت ناراً فقد تكون خمدت فسار الشهاب (جذوة) لذلك لم يكرر (سآتيكم) وقال: (امكثوا) وقال: (لعلي) وقال: (قبس) فقط و لم يقل: (شهاب قبس)، ومعنى قبس عند القرطبي (قطعة من الجمر.. أي بدون نار) تماماً كما قال في القصص (جذوة)، والله أعلم بمراده[1].

٣- قوله سبحانه: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه - ٧٠).

وفي سائر القرآن: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾.

الإجابة والله أعلم:

هذه المسألة مثار جَدَل من خصوم الإسلام، يقولون: ماذا قال السحرة بالضبط؟ أقالوا الأولى أم الثانية؟ ولك أن تتصور جمهرة السحرة الذين حضروا هذه المعركة، فكان رؤساؤهم وصفوهم سبعين ساحراً، فما بالك بالمرءوسين؟ إذن: هم كثيرون، فهل يُعقل مع هذه الكثرة وهذه الجمهرة أن يتحدوا في الحركة وفي القول؟ أم يكون لكل منهم انفعاله الخاص على حَسْب مداركه الإيمانية؟

لا شَكَّ أنهم لم يتفقوا على قول واحد، فمنهم مَنْ قال: ﴿.. ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه – ٧٠)، وآخرون قالوا: ﴿. ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ الشعراء. و لم يفطن إلى أن فرعون قد ادّعى الإلوهية وقال (أنا ربكم الأعلى)؛ فربما يُفهم

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٥/ص٩٢٢٨) – بتصرف.

من قوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ (الشعراء - ﴿٤٨﴾)، ربما يُفهم أنه فرعون، فهو الذي ربّى موسى وهو صغير.

وآخر قد فطن إلى هذه المســـألة، فكان أدقَّ في التعبير، وأبعد موســـى عن هذه الشبهة، فقال: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه — ٧٠) وجاء أولاً بهارُون الذي لا علاقة لفرعون بتربيته، ولا فضل له عليه، ثم جاء بعده بموسى.

إذن: هـــذه أقوال متعـــددة ولقطات مختلفة لمجتمع جماهيري لا تنضـــبط حركاته، ولا تتفق تعبيراتـــه، وقـــد حكاها القرآن كما كانت؛ فليس لأحد بعد ذلك أن يقول: إنْ كان القول الأول صحيحاً، فالقول الآخر خطأ أو العكس.

وما أشـــبه هذا الموقف الآن بمباراة رياضية يشهدها الآلاف ويُعلِّقون عليها، تُرى أتتفق تعبيراتهم في وصف هذه المباراة؟ [(١)]

٤- لطيفة في قصة هارون وموسى في سورة طه:

قلت والله أعلم:

عندما تحدث فضـــيلة الإمام الشعراوي في خواطره عن سبب تقدم ذكر هارون على موسى في هذا الموضع، وقال إن هذا قول مجموعة من السحرة أكثر فقهاً وعلماً من غيرهم.

فهناك لطيفة يجدر ذكرها وهى أن الله قد أمر نبيه في هذه السورة أ ن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه- ﴿١١٤﴾).

ويذكر أن الله لم يأمر من نبيه بطلب الزيادة من شيء إلا العلم.

٥- قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِي﴾ (طه - ﴿٣٠﴾).

قيل: إن أعظم دعوة دعاها أحد لأحد هى دعوة موســـى أن يجعل الله أخاه هارون نبياً، إلا أننا لا

---

(١) خواطر الشعراوي (ج١٥/ص٩٣٢٣) — بتصرف.

ننســـى أن نبينا المصطفي صلي الله عليه وسلم قد اختبأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة، اللهم صل عليه صلاة تكون لك رضاً ولحقه أداءً مادامت السماوات والأرض.

سورة الأنبياء

١- مسألة حول(اللعب واللهو) و(الحق):

*- قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (الأنبياء - ۝٣).

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء - ۝١٧).

لاحظ تعاقب اللعب ثم اللهو في موضعين متتاليين في السورة؛ أما في الدخان في قوله سبحانه:

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ (الدخان - ۝٩)، فناسب قوله بعد ذلك: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾.

وناسب كملة (شك) أن يكون الرد عليها (الحق) والله أعلم بمراده سبحانه.

٢- قوله سبحانه:﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ (الأنبياء - ۝٦٠).

قال بعض أهل العلم:

إن إفراد كلمة (فتى) هنا فيها لفت نظر شديد إلى قوة اليقين والثبات، فإبراهيم وحده في هذا الموقف لا يخشى بطش القوم ولا جبروتهم ولا عددهم، بل يتحرك وحده لمواجهة صناديد الكفر، وانظر إلى

قوة اليقين القلبي وهو بين السـماء والأرض في طريقه إلى النار التي أشـعلها قومه له بعد أن ألقى بالمنجنيق فيقول: (حسبي الله ونعم الكيل)، لذلك فاز بمترلة لم ينلها إلا هو والمصطفى (ﷺ)، وهي مترلة الخلة.

٣- قوله سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء - ٩٠).

قلت والله أعلم:

من المعلوم أن المرأة العاقر لن تلد إلا إذا برئت من هذا العقم، وهذا بالقوانين الأرضـية، أما من بيده مقاليد الأمور فالأمر يختلف معه سـبحانه، لذلك حتى لا يتعلق القلب بالنعمة وينسى المنعم ولا يتعلق الإنسـان بالسـبب وهو قوله:﴿ وَأَصۡلَحۡنَا﴾ وينسـى رب الأسباب، فلذلك قدم سبحانه قوله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ﴾ ليقِر في القلـب أن هذا الأمر مِنْهُ مِنة وهبة ثم يأتي بالسـبب:﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ ﴾.

ولابن قيم الجوزية في هذا المقام كلام قيم يحسن ذكره هنا: (لو كشف الله الغطاء عن عطفه ولطفه وصنيعه لك من حيث تعلم ولا تعلم لذاب القلب في محبة الله ولتقطع القلب شوقاً للقاء الله، ولكن حجب القلوب عن ذلك إخلاد النفس إلي عالم الشهوات وتعلقها بالأسباب) [١].

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ج١/ص٢٨١).

الأنبياء / المؤمنون

*- قوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ (الأنبياء - ﴿٩٣﴾).

وقوله: ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون- ﴿٥٣﴾).

الإجابة والله أعلم:

﴿فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ...﴾ بـالواو في الأنبياء، وفي المؤمنون: ﴿فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ بـالفاء؛ لأن الخطاب هاهنا أعم والعبادة أعم من التقوى؛ وأيضـاً الخطاب يتناول الكفار وقد وُجد منهم التقطع قبل هذا القول، وفى سورة المؤمنون الخطاب للنَّبِىِّ؛ (ﷺ)- وللمؤمنين بـدليل قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون - ﴿٥١﴾)، ثم قال في موضع يلى هذه الآية (فَتَقَطَّعُوٓاْ) (المؤمنون - ﴿٥٣﴾).

أى ظهر منـهم- أى من أمتـهم- التقطع بعد هذا القول؛ ولأن التقطع منهم أغرب أكده بقوله (زُبُرًا) (١).

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (ج٥/ص٥٣).

الأنبياء /العنكبوت

*–قوله: ﴿وَأَدۡخَلۡنَـٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾الأنبياء–(٨٦)

وقوله:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ العنكبوت

– (٩)

قلت والله أعلم:–

(عندما ذكر ابن القيم أن ثمة فرقا بين الذين عملوا الصالحات وعباد الله الصالحين)، فهناك منزلة عباد الله الذين أدخلهم سبحانه وتعالي في رحمته، وهي قوله: ﴿وَأَدۡخَلۡنَـٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ (الأنبياء – (٨٦)).

سورة الحج

١– قوله:﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَـٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصۡرٍ مَّشِيدٍ﴾ (الحج – (٤٥)).

وقوله:﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (الحج – (٤٨)).

قال الطاهر بن عاشور:

عَطْفُ جُمْلَةِ: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها) [الْحَج: ٤٥]– بِالْفَاءِ– وَعَطْفُ جُمْلَةِ (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وَهِيَ ظالِمَةٌ)– بِالْوَاوِ– فَلأَنَّ الْجُمْلَةَ الأولَى وَقَعَتْ بَدَلاً مِنْ جُمْلَةِ (فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ)

[الْحَج: ٤٤] فَقُرِنَتْ- بِالْفَاءِ- التِي دَخَلَتْ نَظِيرَتُهَا عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُبْدَلِ مِنْهَا، وَأَمَّا هَذِهِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ فَخَلِيَّةٌ عَنْ ذَلِكَ، فَعُطِفَتْ بِالْحَرْفِ الأَصْلِيِّ لِلْعَطْفِ(١).

قلت والله أعلم:

عادة ما تستخدم الفاء للسرعة، أما الواو فقد تفيد التراخى، لذلك قد يكون التعبير بالفاء جاء مع الإهلاك

في قوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ (الحج-٤٥).

أما التعبير بالواو فقد جاء مع الإمهال في قوله:﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا..﴾ (الحج - ٤٨).

٢- قول الله:﴿لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ بزيادة حرف اللام لم يأت في القرآن إلا في موضعين؛ وكلاهما في الحج:

قوله: ﴿.وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج- ٤٠).

وقوله: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج- ٧٤).

ولسائل أن يسأل عن وجه الإنفراد بزيادة اللام هنا دون سائر القرآن.

قلت والله أعلم:

إذا تأملت آية سورة الحديد وآية سورة محمد:

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾

(محمد- ٧).

(١) التحرير والتنوير(ج١٧/ص٢٩٣).

وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾

(الحديد - ٢٥).

في سورة محمد مشروطة: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، أما آية الحج فمقرونة بلام القسم ونون التوكيد. ا.هـ.

قال د. فاضل السامرائى: آية الحديد فيمن ينصر الله ، وفي آية الحج وضح أن الله تعالى هو الذي ينصر المستضعفين وهذه الآية - أى آية الحديد- في سياق الإذن للمؤمنين بالجهاد، ثم وعدهم بالنصر المؤكد، فجاء قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (١).

٣- قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ (الحج - ٢٨).

وقوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج - ٣٦).

قيل إن العلماء قد أخذوا هذه الآية - اجتهاداً منهم - على اســتحباب تقســيم الهدى إلى نصفين أو تقســيمه على ثلاثة أثلاث، واختلف قول الشافعي، فمرة قال: يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] فذكر شخصين. وقال مرة: يأكل ثلثاً ويهدى ثلثاً ويطعم ثلثاً، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦] فذكر ثلاثة(٢).

---

(١) لمسات بيانية (ج١/ص١٩٢) بتصرف.

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (ج١٢/ص٤٧).

الحج /العنكبوت

*- جاء قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج- ٤٧).

وجاء قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (العنكبوت- ٥٣).

قلت والله أعلم:

في الحج مناسبة لأول السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج-١).

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ (الحج- ٧)

وعد من الله بأن الساعة آتية فناسبه: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾.

٢- قوله: ﴿...يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ (الحج - ﴿٢٤﴾).

وقوله: ﴿.. يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ..﴾ (فاطر - ﴿٣٤﴾).

الإجابة والله أعلم: ذكر القرطبي[١] ما أورده الطبرى - وكذلك ذكر الماوردى [٢] هذا الأثر عن الكلبى - أن طيب القول هو قولهم في الدنيا: (لا إله إلا الله والحمد لله) وفى الآخرة: (الحمد لله).

وقال النحاس[٣]: هو قولهم يوم القيامة: ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا..﴾ وقولهم: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾.

قلت والله أعلم: كأن الموضع الثاني في فاطر تفصيل لماهية هذا القول الطيب.

أو قد يكون والله أعلم: أنه في الحج توسط آيات الحديث عن الكفار فليس موضع تفصيل، أما في سورة غافر فقد تحدث قبلها في (٨) آيات عن عباد الله الصالحين فهو مقام تفصيل، حتى عندما قال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾، فبالرغم من ذلك إلا أنهم مصطفون من الله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: ﴿ إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ ذَنْبًا قَدِ اعْتَادَهُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، وَذَنْبًا لَيْسَ بِتَارِكِهِ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ تَقُومَ

---

(١) أحكام القرآن للقرطبى (ج١٢/ص٣١).

(٢) النكت والعيون للماوردى (ج٣/ص٧٣).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (ج٣/ص٩٢).

السَّاعَةُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُذْنِبًا خَطَّاءً نَسِيًّا، إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ " [1] اهـ. [2].

المؤمنون

١- ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون - ١٩).

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف- ٧٣).

بدون حرف الواو وبإفراد(فاكهة).

الإجابة والله أعلم:

الأولى: جنات وفواكه الدنيا، فهناك محذوف تقديره: (ومنها تعصرون وتتخذون سكراً وتخزنون..) أى أن أغراضها متعددة لذلك أتى بالواو.

أما أية الزخرف فهى فاكهة الآخرة، وفى الآخرة أنت في غنى عن عمل كل هذا فكل ما تشتهيه تجده أمامك بلا عناء، فلا تحتاج أن تعصر أو تتخذ سكراً كما في فاكهة الدنيا[3].

٢- قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون - ٥٣).

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ٩٢

---

(١) كتاب شعب الإيمان للبيهقى (ج٩/ص٣٢٩).

(٢) هذه الخاطرة مستوحاة من دروس شرح العقيدة الطحاوية للشيخ محمد حسين يعقوب.

(٣) سبق ذكرها بالتفصيل فى المقدمة تحت عنوان (فائدة هامة فى قواعد الفتح على الإمام).

وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ (الأنبياء - ٩٣).

الإجابة والله أعلم:

بند ١ في الأنبياء:

٣- قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ (المؤمنون- ٦١).

و لم يقل: يسارعون إلى الخيرات، أى أنهم والله أعلم، بالفعل موجودون في حيز الخيرات، ويترقون إلى مراتب أعلى [١].

و قيل: هى دليل أن الصلاة أول وقتها أفضل [٢].

النور

١-هناك لطيفة ذكرها فضيلة الإمام الشعراوى في الربط بين ختام سورة النور مع بداية سورة الفرقان:

قال سبحانه في الآية الأخيرة في سورة النور: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ (النور - ٦٤).

ثم قال في مطلع الفرقان: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ (الفرقان- ٢).

وهذا يسمى في اللغة المظروف: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والظرف ﴿مُلْكُ

---

(١) خواطر الشعراوى (ج١٦/ص١٠٠٦٩).

(٢) أحكام القرآن للقرطبى (ج١٢/ص١٣٢).

﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أى أن الله له ملكية المظروف- والمظروف هو الشـــيء الذي تضـــعه داخل ما يعرف بظرف البريد – مثل الخطاب الذي تضعه في الظرف، ففى الآيتين جَمع الملك كله لله[1].

٢- في السورة لفت نظر شديد لأهمية اتباع وطاعة الرسول (ﷺ)، ولاحظ ذلك في الآيات من (٤٧ إلى ٥٦) على نمط لم يتكرر في أى موضع في القرآن والله أعلم، فتأمله.

٣- الآية –(٥٣) ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَـٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ النور – (٥٣) ختمت بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ لأنه قال في موضـــع آخر: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ (النساء – (٨١)).

الفرقان

١- ســـياق وترتيب الآيات والمَوَاقفُ في الســـورة قد تدعو إلى التســـاؤل: ما الحكمة من هذا الترتيب...؟

١- ذِكر موقف قريش مع النَّبِيِّ (ﷺ): ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَـٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ (الفرقان –(٣٢)).

٢- ذكر قصة موسى.

٣- ذكر قصة نوح.

---

(١) خواطر الشعراوى (ج١٧/ص١٠٣٦٠).

الإجابة والله أعلم:

ذِكر قصة موسى مباشرة بعد النَّبِيِّ (ﷺ) تسلية للنَّبِيِّ، لأن النَّبِيَّ لقي قوماً لا يؤمنون بالإله، أما موسى فلقي فرعون الذي يدعي أنه الإله[1].

ثم ذكر قصة نوحاً، بعد موسى لاشتراك كل منهما في معجزة الماء التي أنجى الله بها موسى ونوح وبها أيضاً أهلك فرعون وقومه والمكذبين من قوم نوح.

٢- وقفة مع أسماء الله الحسنى في سورة الفرقان:

قول الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ...﴾ (الفرقان-٥٨).

من المعلوم أن الحى حتماً سيموت (سوى الله) واسم الحى عادة يأتى مقروناً بالقيوم، (الحي القيوم) (وقد أتت في ثلاثة مواضع في القرآن لا رابع لهم (البقرة/آل عمران/طه)، فما الحكمة من أنه سبحانه هنا بعد قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ﴾ قرن كلمة الحى بقوله: ﴿ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.

الإجابة والله أعلم كما ذكرها العلامة الشيخ أبو إسحاق الحوينى في خطبة (هل تعرف الله):

إن من يعتمد ويتوكل على شـــخص للإنفاق عليه ومساعدته إذا مات هذا الشخص فتلك مصيبة للذى كان يعتمد عليه وينتظر منه الرزق والإحسان، فهنا عليه أن يتذكر أن الله حى ولكن حياته مباينة – مختلفة– عن حياة المخلوقين، فهو حى لكنه لا يموت سبحانه، فالتوكل لا ينبغى إلا عليه.

قال الشاعر:

كل حي سيموت ليس في الدنيا خلود... حركات وسكنات ثم يتبعها خفوت

٣- مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿.مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ..﴾ (الأنعام-٣٨).

فإذا قيل: هل لجهنم عينان..؟ وما دليله من القرآن...؟

الإجابة والله أعلم:

قوله سبحانه: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان –

---

(١) خواطر الشعراوى (ج١٧/ص١٠٤٤٠).

(١٣).

وله شاهد من أحاديث النَّبيِّ (ﷺ):

روى مرفوعاً أن رسول الله (ﷺ) قال: " من كذب على متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا" قيل: يـــا رســـول الله! ولها عينان؟ قال: " أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿... إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ ســَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾ يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول: وكلت بكل من جعل مع الله إلهاً آخر، فلهو أبصـــر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه". وفى رواية: " فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم" ذكره رزين في كتابه، وصححه ابن العربي في قبســـه، وقال: أي تفصـــلهم عن الخلق في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة. وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ)." يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصـــورين". وفي الباب عن أبي ســـعيد قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح[١].هـــ.

ذكر السيوطي والطبري[٢] وابن كثير[٣] كلاماً قريباً من ذلك.

---

(١) أحكام القرآن القرطبي (ج١٣/ص٨).

(٢) تفسير الطبرى (ج٢٤/ص٣٨٥).

(٣) تفسير ابن كثير (ج٦/ص٩٦).

قـــولـــه: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ (الأنبياء - ٣٦).

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً﴾ (الفرقان - ٤١):

قلت والله أعلم:

فى الأنبياء ذكر الذين كفروا صريحاً وفى الفرقان كَنى عنهم بواو الجماعة، وإذا تأملت في سياق السورتين ستجد أن كل موضع ناسب ما قبله، ففى الأنبياء قال في موضع قبلها: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا..﴾ (الأنبياء - ٣٠).

فناسبها: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا..﴾ (الأنبياء - ٣٦). أما في الفرقان: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً﴾ (**الفرقان** – ٤١). مناسب لما قبلها حيث كنى عنهم بواو الجماعة، و لم يصرح فقال: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ﴾ / ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾، فناسبها أن يقول: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ والله أعلم.

الشعراء

١- قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (الشعراء - ١٢).

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ (القصص- ٣٣).

قلت والله أعلم:

في الشعراء ورد قوله: (فقد كذبوا) أي قريش، وعلى مدار السورة جاء (كذبت قوم نوح/ كذبت عاد/ كذبت قوم صالح/ كذبت قوم لوط /كذب أصحاب الأيكة) وجاء في أواخر السورة (.وأكثرهم كاذبون) فناسبها والله أعلم في هذا الموضع ما قاله موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (الشعراء - ١٢).

أما في القصص فقد ذكر قبلها قصة قتل موسى للرجل من قوم فرعون فذكر في حديثه: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾

٢- قوله: ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء -١٦)،

فيه مسألتان:

المسألة الأولى: سؤال فرعون لموسي: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء – ٢٣).

لماذا لم يأتِ السؤال من فرعون لموسى مباشرة: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وإنما جاء بعد فترة.

المسألة الثانية: اختلاف إجابة موسى باختلاف سؤال فرعون فهنا قال فرعون: ﴿. وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

أما في طه فقال: ﴿... فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ (طه - ٤٩)، فما الفرق بين (ما) و(من)؟

وما الحكمة من اختلاف إجابة موسى عليه السلام؟

جوابه والله أعلم:

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الشعراء - ٢٣).

لما غلب موســـى فرعون بالحجة و لم يجد اللعين من تقريره على التربية وغير ذلك حجة رجع إلى معارضة موسى في قوله: رسول رب العالمين، فاستفهمه بـــ (ما) وهي للمجهول من الأشياء. قال مكي وغيره: كما يستفهم عن الأجناس فلذلك استفهم ب" ما". قال مكي: وقد ورد له الإستفهام بـــ" من" في موضع آخر ويشبه أنها مواطن، فأتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق، وقد سأل فرعون عن الجنس ولا جنس لله تعالى، لان الأجناس محدثة، فعلم موسى جهله، فأضرب عن سؤاله وأعلمه بعظمة قدرة الله التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها [1].

٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء - ٤٩).

يُهـــدِّدهم بأســـلوب ينمّ عن اضـــطرابه، وأنه فقد توازنه، اختلّ حتى في تعبيره، حيث يقول: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الشـــعراء: ٤٩] وســـوف تدل على المستقبل مع أنه لم يُؤخّر تهديده لهم بدليل أنه قال بعدها:

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج١٣/ص٩٨).

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشـــعراء: ٤٩][(١)].

٤- قوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء - ٥٩).

و قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ (الدخان - ٢٨).

الإجابة والله أعلم:

في الشـــعراء ذكر اسم موسى صريحاً في عدة مواضع، فناسب ذكر اسم موسى أن يذكر بنى إسرائيل فقال: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أما في الدخان فلم يأت اســـم موسى في السورة كلها بل قال: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، فناســـب ذلك أن لا يذكر بني إسرائيل، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ (الشعراء - ٥٩).

٥- ذكر في الشعراء قول إبراهيم لقومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الشعراء

وفى الصافات قول إبراهيم لقومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (الصافات -

---

(١) خواطر الشعراوي (ج١٤/ص١٠٥٧٢).

الإجابة والله أعلم:

إن حرف (ما) يختلف في مفهومه عن كلمة (ماذا)، فالأولي توحى بالإبهام كأن السائل يريد من المسئول التوضيح، فعندما يقول إبراهيم لقومه (ما تعبدون)؟ هذا يقتضى منهم تفصيل في الإجابة عن هذا الذي يعبدون، وبالفعل جاء الرد منهم: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ﴾ (الشعراء - ٧١).

أما عندما قال لهم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ الصافات - ٨٥ فهذا يوضح شدة إنكاره عليهم فِعْلهم؛ ولذلك استمر في الكلام بعده فقال: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (الصافات - ٨٦) [1].

٦- في الشعراء قال: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (الشعراء - ١٥٤).

وذلك في معرض الحديث عن قوم صالح ثم قال عن قوم شعيب: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ (الشعراء - ١٨٦).

فما الحكمة من زيادة (الواو) هنا؟ الإجابة والله أعلم:

معروف أن شعيب خطيب الأنبياء، فلما أطال لهم الكلام فقام قومه أيضاً بإطالة الكلام فقالوا: (وَمَآ أَنتَ). أما مع صالح فأوجز لهم الكلام فأوجزوا في الرد [2].

---

(١) البرهان للكرماني (ص١٣٣).

(٢) ذكر الكرماني فى كتابه البرهان قولاُ قريباً من ذلك (ص١٣٣).

سورة النمل

١- قوله: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾ (النمل - ٣٩).

وقوله: ﴿..إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ (القصص - ٢٦).

فما علة تقديم القوى على الأمين...؟.

فى دراسة غربية قامت بها إحدى الدول الغربية: هل تختار(أكفأ الأمناء) أم تختار(أأمن الأكفاء)، أى أنك لو كنت صاحب شركة وتريد الاختيار بين المتقدمين لوظيفة (مبرمج حاسب ألى) على سبيل المثال ستختار الأمناء أولاً ثم تختار أكثرهم كفاءة أم العكس، تختار الأكفاء أولاً ثم تختار أكثرهم أمانة، بعد تجارب وعناء طويل بذله هذا المعهد الغربي توصل إلى ما ذكره لنا العليم الحكيم سبحانه في كلمتين بترتيب لا يأتي إلا من لدن خبير فقال: ﴿ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾، فأنت تختار الكفاءة أولاً ثم الأمانة؛ لأن كفاءته ترجع على العمل بالفائدة وفجوره على نفسه، والله أعلم [(١)].

٢- قوله:﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ (النمل - ٢٣).

ما الحكمة من قوله سبحانه وتعالي –علي لسان الهدهد: ﴿ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ و لم يقل تحكمهم.

---

(١) د.راغب السر جاني بتصرف.

قيل والله أعلم:

فرق بين أن تحكم شعب وبين أن تملكه فسياسة شعب أمر ليس بالهين فمعني أن ملكة سبأ تملكهم أي أنهم أصبحوا طوع بنانها لا يعصون أمرها (١).

٣- قوله: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (النمل - ٤٤).

لم تقل أسلمت لسليمان وإنما قالت: ﴿مَعَ سُلَيْمَـٰنَ﴾، إذن فلا غضاضة في إيمانها، وذلك حتى لا يظن شعبها أنها ذهبت به إلى حضيض الذلة في أن يحكمهم إنسان آخر، لكن هى وسليمان محكومان لله رب العالمين، ولا غضاضة في ذلك، فأنا وأنت مسلمان لإله واحد هو الله رب العالمين، وهكذا يكون إسلام الملوك، وحتى لا يظن أحد أنها إنما خضعتْ لسليمان، لذلك احتاطتْ في لفظها لتُزيل هذا الشك (٢).

النمل / القصص

١-**ذُكرت** قصة موسى عندما آنس ناراً في سورة طه وفى النمل والقصص بسياق مختلف في كل مرة بمترادفات وألفاظ قد تشتبه على الحفاظ:-

ارجع إلى سورة طه البند ١

٢- لاحظ أن سورة النمل الآية -٨٨- قد ذكر الله سبحانه في الآية إتقانه لكل شيء: ﴿...صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل - ٨٨).

قلت والله أعلم:

ولم يرد مثله في القرآن وأيضاً قوله في نفس الآية: ﴿.إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ لم يتكرر

---

(١) خطبة عاقبة البغي للعلامة الشيخ أبي إسحاق الحويني.

(٢) من خواطر الشعراوي (ج١٧/ص١٠٧٩٢).

في القرآن، فهذا من الفرائد وتذكر أن الله قد كتب الإحسان علي كل شيء، والله أعلم

٣- قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (القصص - ٦٠).

و قوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى - ٣٦)، بدون كلمة (زينتها).

قلت والله أعلم:

ذُكر في القصص قصة قارون بعد هذا الموضع ببضع آيات: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾، فحسن أن يقول هنا أيضا وزينتها.

٤-﴿..يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ...﴾(القصص- ٨٢).

إذا تتبعت ذكر الله لمسألة البسط والتقدير للرزق في القرآن تجدها علي ثلاث صور:

*ما ورد هنا في القصص، وهو على سبيل الحصر، و لم يأت مثله في القرآن إلا هنا ﴿.. يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ...﴾.

لاحظ زيادة كلمة (عباده)، وقوله (يقدر) و لم يقل (يقدر له)، فهذا صنف من الناس يبسط الله الرزق له مطلقاً فلا يقدر أو يضيق عليه، وقد جاء في القصص هذا السياق مناسباً لقصة قارون الذي بسط له فلم يقدر أو يضيق عليه حتى خسف به.

*الصورة الثاني وجاءت في موضعين في القرآن: ﴿..يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ و لم يأت إلا في العنكبوت وسبأ وهو بسط الرزق أحياناً وتقدير الرزق أحياناً أخرى.

* الصورة الثالثة وهي ما جاءت في معظم القرآن وتختص بالرزق للخلق جميعا ﴿..يبسط الرزق لمن

يشاء ويقدر..﴾ بدون(عباده) أو(له).

٥- ذكر في قصة موسي:﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ...﴾ (النمل - ٨).

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ...﴾ (القصص - ٣٠).

قيـــل: إن الأدباء كانت تكره تكرار القافية في أقل من ســـبعة أبيات، وبما أن القرآن جاء متحدياً لقريش في أن يأتوا ولو بأية من مثله فكان لا بد ألا يخلوا من صـــنوف الأساليب البلاغية، حتى لا تقول العرب مـــا بال هذا القرآن خلا من هذا الصـــنف من البلاغة، لذلك عندما قال في النمل:

﴿..سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (النمل - ٧).

قال الكرماني [١]: فعندما كرر مرتين (ءَاتِيكُم) في النمل كره أن يأتى بها الثالثة للثقل فقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ...﴾ (النمل - ٨).

---

(١) البرهان (ص١٣٤) بتصرف.

النمل /العنكبوت

لقد ورد في القرآن قول قوم لوط بسياق مختلف في عدة مواضع وكما ذكرنا سالفاً فإن ورود القصة أو الآيــة أو مقطع من الآية بســياق مختلف له حكمة يعلمها مترل الكتاب ســبحانه، وما هذه الإشارات إلا منارات على الطريق لتثبيت الحفظ.

قول الله ســبحانه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل- ٥٦).

وقوله: ﴿...فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (العنكبوت - ٢٨).

قلت والله أعلم:

إذا تتبعت (مادة الفعل خرج) في ســـورة النمل ستجد أنها قد وردت بتصريف مختلف ٤ مرات.

وإذا تتبعت (مادة الفعل أتى) في سورة العنكبوت ستجد أنها قد وردت بتصريف مختلف (٨) مرات، والله أعلم.

فهذه علامة صعبة المستخرج، فاعلمها.

أما الموضع الثالث في الأعراف:

فقال ســـبحانه: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف - ٨٢):

فقد قال ســـبحانه: ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ فكني عنهم بالضمير في سورة الأعراف و لم يذكرهم، وقيل:

إن ســورة الأعراف قد نزلت بعد العنكبوت، فلذلك أشــار إليهم بالضــمير لسالف ذكرهم في العنكبوت.

النمل /فصلت

قوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ / ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾:

انظر البند (٣٩) في المبحث الأول.

سورة القصص

١- قوله: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (القصص-٢٥).

قال بعض أهل العلم والله أعلم:

إن هذه الكلمات بها من الآداب وفنون البلاغة، ما تعجز الأنامل عن وصفه:

أولا- إذا وقف القارئ علي قوله سبحانه: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ فهذا يظهر الأدب والحشمة التي اتصــفت به هذه المرأة في سيرها ومشيتها و لم يخرجها وشقيقتها إلا العذر القهري – وهو كبر سن الأب.

ثانيا: إذا وقف القارئ على قوله ســبحانه: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ﴾، فهذا يضيف معنى أخر وهو الأدب والســمت العالى في الكلام، كما قال ســبحانه في الأحزاب: ﴿. فَلَا تَخْضَعْنَ

بِٱلۡقَوۡلِ...﴾ فقد أوجزت المرأة الكلام في كلمات و لم تسرد الحديث).

ثالثا: مضمون الكلام نفسه قاطع، فقد بدأت بكلمات واضحة الدلالة والمفهوم بما لا يُهِمُ معني آخر وهو دعوة أبيها لموسى ليؤجره على السقيا.

فقد جمعت الآداب كلها في القول والفعل، فيا له من مثال يُحتذي به ونهديه لبنات هذا الزمان ونساء هذا العصر، اللهم أهد بناتنا وأولادنا إلي أحسن الأخلاق، فإنه لا يهديهم لأحسنها إلا أنت.

٢- قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص - ٢٥).

ما المقصود بقوله: ﴿نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص - ٢٥).

قيل والله أعلم:

إن المنطقة التي توجه إليها موسى وهى مدين كانت خارج هيمنة وسيطرة فرعون، ولا يستطيع أن يناله فيها، لذلك قال له شعيب: ﴿ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٢- ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ (القصص-٤٥).

ما الحكمة من أن الله سبحانه خص أهل مدين في هذا الموضع:

إن أهل مدين قد عُرفوا بالمهارة في الكتابة وبرعوا فيها، والله سبحانه ينفي عن النَّبِيِّ (ﷺ) سابق علمه بالكتابة[1]: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ

(١) من خواطر الشعراوي (ج١٨/ص١٠٩٤٠).

﴿إِذًا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ (العنكبوت -٤٨).

أيضـــاً في هذا الموضع ينفى عن النَّبِيِّ (ﷺ) سابق تواجده في أهل مدين تأكيداً لأمية (ﷺ) التى هى شرف في حقه ونقص فيمن سواه، والله أعلم (١).

٣- قال سفيان الثوري: (كلمة الوعيد لا تفسر للعوام)، وهذا ما يتضح لنا في اختلاف أسلوب دعوة قوم قارون له حيث أطالوا له الكلام، وفى هذا تفصيل ذكره الشيخ العلامة أبو إسحاق الحويني في خطبة (عاقبة البغي) أما عندما نصحوا للعوام فلم يفسروا وأوجزوا فقالوا: ﴿..وَيۡلَكُمۡ..﴾.

٤- جاء قوله: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ في موضعين في سورة القصص (آية ٦٢ و٧٤)، تكرار ولكنه ليس بتكرار.

قلت والله أعلم:

فى الأولى يناديهم الله ويسألهم عن شركائهم فينادى الكفار على الأصنام فلا يجيبوهم، أما في الثانية، فيناديهم الله: ﴿أين شركائى﴾ فيصمتون ولا يجيبون، فأنت عندما توجه السؤال للشخص نفسه عدة مرات فعندما تنفد إجاباته يقف عاجزاً حيران، وهذا عذاب نفسي، فيجتمع لهم نوعا العذاب البدني والنفسي.

٥- من المواضع التى على سبيل الحصر في القرآن وجاء في سورة القصص:

(ثُمَّ هُوَ) لم تأت في القرآن إلا في هذا الموضـــع في القصص: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ (القصص -٦١).

وكما عند النحويين فإن (هو) قد يأتى ضمير فصل لتوضح أن ما بعده خبر وليس صفة، ولكنه في هذا الموضع مبتدأ.

---

(١) من خواطر الشعراوي بتصرف (ج١٨/ص١١٢٢١).

٦- ﴿..إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص - ٢٦).

ما الحكمة من ذكر (القوي) قبل (الأمين)؟

انظر البند (١) في القصص.

٧- قوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (القصص - ٧٣).

قد يتوهم السامع أن قوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بأن النهار للسكون، ولكن كما هو معلوم فإن القرآن لم يخلُ من الأساليب البلاغية، وهذا الأسلوب يسمى في البلاغة (اللف والنشر) فيتم جمع المحكوم عليه - الليل والنهار - في طرف والحكم في طرف - لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله [1].

وقد يكون هناك معنى آخر للآية، والله أعلم بمراده.

(١) من خواطر الشعراوي (ج١٨/ ص١١٠٠٣).

قوله في القصص: ﴿.. وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ (القصص - ٨٠).

وقوله في فصلت: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت - ٣٥).

ما سر اختلاف السياق فقال مرة﴿: ٱلصَّٰبِرُونَ﴾، وقال في الأخرى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾؟

قلت والله أعلم: انظر إلى ما أوردناه في لقمان والشورى من قوله سبحانه:

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ..﴾، وسبب زيادة (ولمن) في قوله:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ..﴾ (الشورى- ٤٣).

وعلى شاكلتها – والله أعلم عندما ذكر في الشورى قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (الشورى - ٣٤).

أي أن الجهة التي وقعت منها العداوة والظلم معلومة، فذلك يستلزم مقداراً أعظم من الصبر فلذلك عبر بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾، ومعلوم في البلاغة أن الزيادة في مبنى الجملة أو الكلمة زيادة في المعنى، والله أعلم بمراده.

العنكبوت

١- لطيفة في الإعراب في الآية:

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ.﴾ (العنكبوت-٢٥).

كلمة (مودة) لماذا لم تنون بالنصب بل حركت بالفتح.....؟ وذلك في بعض الروايات.

الإجابة: (مودة) مفعول لأجله منصوب بالفتحة (مضاف)، ومعلوم أن المضاف لا ينون، لأنه معرف، ومن العلامات الخمس التي تميز الاسم كما قال ابن مالك: التنوين، وهو يلحق النكرات، فكيف يجتمع متضادان (علامة تعريف وتنكير) على معمول واحد؟ لذلك حركت بالفتح.

٢- قوله: ﴿.فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ (العنكبوت-٣٨).

و في الآية بعده قال: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ (العنكبوت-٣٩).

ما الحكمة من ذكر قارون قبل فرعون وهامان؟ و لم يتكرر ذلك في القرآن.

الإجابة والله أعلم:

إن قارون كان ممن يقرءون التوراة وعلى علم بها وحسن الصوت بها لذلك كان مستبصراً فجاء بكلمة (مستبصرين) وقال بعدها: ﴿وَقَٰرُونَ...﴾ [(١)].

٣- هل هناك فرقا بين الذين عملوا الصالحات، وعباد الله الصالحين...؟

ذكر ابن القيم أن ثمة فرق بينهما، وتجد ذلك في قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (العنكبوت - ٩)، اللهم أدخلنا وأهلينا برحمتك في عبادك الصالحين.

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج١٣/ص٣١٥).

٤- ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ العنكبوت - ﴿٥٦﴾

ما الحكمة في التذييل بقوله (فاعبدون).....؟

يقول سبحانه: ﴿فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] فإنْ أخذنا بمبدأ الهجرة، فلا بُدَّ أن نعلم أن للهجرة شروطاً: أولها: أنْ تهاجر إلى مكان يحفظ عليك إيمانك ولا ينقصه، وانظر قبل أنْ تخرج من بلدك، هل ستتمكن في المهجر من أداء أمور دينك كما أوجبها الله عليك؟ فإنْ كان ذلك فلا مانع، وإلا فلا هجرةَ لمكان يُخرِجني من دائرة الإيمان، أو يحول بيني وبين أداء أوامر ديني.

كما أننا نلاحظ في قوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ...﴾ [العنكبوت: ٥٧] بعد ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ [العنكبوت: ٥٦] أن الخواطر التي يمكن أن تطرأ على النفس البشرية حين يُشرِّع الله أمراً يهيج هذه الخواطر مثل: ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وما تثيره في النفس من حب الجمع والتملّك، يجعل لك مع الأمر ما يهبِّط هذه الخواطر.

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ...﴾ [العنكبوت: ٥٧]، حتى لا نطمعَ في حطام الدنيا، ويُلهينا إغراء المال والهجرة لجمعه، فالنهاية بعد ذلك كله الموت، وفقدان كل ما جمعت [(١)].

٥- فائدة في سورة العنكبوت متعلقة بكلمة العلم:

قسم العلماء القلب إلى ٤ أقسام (الفؤاد/اللب/الصدر/القلب) وذكروا أن العلم محله القلب، لذلك في سورة العنكبوت قال الله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت - ﴿٤٩﴾) [(٢)].

---

(١) خواطر الشعراوي (ج١٨/ص١١٢٤٤).

(٢) من كلام الشيخ محمد حسين يعقوب.

٦- قوله تعالى: ﴿..فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ (العنكبوت-٦٣).

وفي غيره: (بَعْدَ موهما) بحذف (مِنْ) ؟.

جوابه والله أعلم:

إن الأرض يكون إحياؤها تارة عقيب شروع موهما، وتارة بعد تراخي موهما بمدة.

فآية العنكبوت: تشـــير إلى الحالة الأولى؛ لأن (مِنْ) لابتداء الغاية، فناسب ذلك ما تقدم من عموم رزق الله تعالى خلقه. وآية البقرة والجاثية: في سياق تعداد قدرة الله تعالى، فناسب ذلك ذكر إحياء الأرض بعد طول زمان موهما لدلالته[1].

٧- ورد في القرآن: ﴿شَهِيدًۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ في عـــدة مواضـــع ولم يأت قوله: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدًاۖ﴾ (العنكبوت - ٥٢) إلا في العنكبوت في ربع - ﴿ولا تجدلوا أهل الكتاب﴾- فلقرب ذكره (الفريقين المؤمنين وأهل الكتاب) قدم (بيني وبينكم)، وأخر (شهيدا)، والله أعلم [2].

٨- مسألة:

قوله: ﴿ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (العنكبوت - ٥٥) [3].

إنك إذا أمسكت بيدك قبساً من نار أو عود ثقاب (عود الكبريت) تجد أن الشعلة دائماً تتجه لأعلى حتى لو عكست وضع عود الثقاب وجعلته لأسفل فإن الشعلة تتجه لأعلى، كذلك النار إذا كانت

---

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة (ص٢٩٢).

(٢) أسرار التكرار ليحيى الزواوي (ص٢٠٥).

(٣) خواطر الشعراوي بتصرف (ج١٨/ص١١٢٣٨).

تحت الأقدام فإنها تخمد من وطء الأقدام لها، أى أن النار لا تأتى من هذين المصدرين الفوقية والتحتية، أما نار العذاب – أجارنا الله منها – فتشمل هاتين الجهتين.

سورة الروم

١- قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...﴾ (الروم – ٧).

ما الحكمة البلاغية من اقتران هذا النفي والإثبات للعلم...؟

إن العلم الذي لا يُخضع حركة الإنسان له فكأنه لم يعلم شيئاً.. لأن هذا العلم سيكون حجة على صاحبه يوم القيامة وليته لم يعلمه.. واقرأ قول الشاعر:

رُزِقُوا ومـــا رُزِقُوا سَـــمَاحَ يد   فـــكــأنهم رُزِقُوا ومـــا رُزِقُوا
خـــلِقُوا و ما خُلِقُوا لمكرُمــةٍ   فكـــأنهم خُلِقُوا ومـــا خُلِقُوا[1]

فكأن العلم لم يُثبت لك لأنك لم تنتفع به والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...﴾(الروم-٧).

وهكذا نفى الله عن الناس العلم الحقيقى.. وأثبت لهم العلم الدنيوى الظاهر[2]

قلت والله أعلم:

إذا تتبعت ذكر العلم في ســـورة الروم تجد أنه ذكر في أول الســـورة فنفى سبحانه العلم عن الذين اقتصـــر علمهم على ظاهر الدنيا: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

(١) من خواطر الشعراوي(ج١ /ص٢٩٥).

(٢) من كلام الشيخ محمد حسين يعقوب.

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا...﴾ (الروم - ۝٧).

وفي آخر السورة قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الروم - ۝٥٩).

وبالتأمل في الآية قبلها: ﴿.وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ..﴾ (الروم-۝٥٦).

قرن العلم بالإيمان و لم يتكرر هذا السياق في القرآن، وذلك لتعلم أن العلم النافع مقرون بالإيمان، والله أعلم (١).

٢- لطيفة في الوقف والابتداء:

قوله: ﴿...فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

(الروم -۝٤٧).

كان أبو بكر رضي الله عنه يقف على كلمة (حَقًّا) ثم يستأنف فيقول: ﴿عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (٢).

٣- نكرة مكررة ثلاث مرات في آية واحدة (تكرار ولكنه ليس بتكرار):

قال تعالى في سورة الروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (ج١١/ص٥٤٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (ج١٤/ص٤٣).

ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ (الروم - ٥٤).

يجب التذكير بالقاعدة البيانية: إن النكرة إذا تكررت فإنها في كل مرة تفيد معنى جديداً.

المراد بالضعف الأول: النطفة (ضعيفة فهي ماء مهين).

والضعف الثاني: الطفولة (لأنه بحاجة إلى رعاية أمه في مرحلة الرضاع، وعناية خاصة حتى يجتاز مرحلة المراهقة ويصل البلوغ).

والضعف الثالث: الشيخوخة (لأنه يعود في مرحلة الشيخوخة ضعيفاً عاجزاً.. ضعيف الفكر.. ضعيف الحركة والسعي والنشاط).

واللطيف في الآية أن (قوة) وردت نكرة وكررت مرتين.

إذاً.. القوة غير القوة.

القوة الأولى: قوة فترة الصِّبا (الصبي قوي مندفع كثير الحركة).

القوة الثانية: قوة الشباب (قوة الجسم والمشاعر والأحاسيس والهمة والعزيمة والانطلاق في الفكر والأحلام والطموح).

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ﴾ القوة الأولى تقود إلى القوة الثانية.

هذه الآية الكريمة تلخص حياة الإنسان على الأرض وأنها تقوم على خمس مراحل:

١. **الضعف** : وهو جنين في بطن أمه.
٢. **الضعف** : وهو رضيع في حضن أمه.
٣. **القوة** : وهو صبي مندفع.
٤. **القوة** : وهو شاب نشيط فاعل.
٥. **الضعف** : وهو شيخ عجوز هرم.

هنا روعة الإعجاز البياني القرآني.. التعبير الحق البليغ.. عن أدق التفاصيل.. بأقل عدد من

الكلمات.. في نظم محكم بديع.. دون أن يخل بالسياق.

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا [1].

لقمان /42- الشورى

من المعلوم أن الصـــبر على الأذى له أجر عظيم، والصبر يكون أهون عندما لا تعرف من وقع منه الظلم أو الأذى، ولكن يكون أشد وأصعب إذا كنت تعرف الذي جاء منه الظلم والأذى.

لذلك تجد في سورة لقمان: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (لقمان-١٧)، وفي الشـــورى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (الشورى-٤٣). بزيادة حرف اللام؛ لأنه سبحانه قال قبلها: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ (الشـــورى-٣٩). وقال: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ (الشورى - ٤١). فبمعرفة جهة البغي يتطلب صبراً أكبر، فزاد اللام، والله أعلم[2].

قلت: وهناك لطيفة تذكر في هذا الموضع أن الزيادة جاءت في سورة الشورى؛ حيث ورد فيها لفظ الظلم بمشتقاته ثماني مرات، فقال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (الشورى - ٤٣).

فهذه علامة صعبة المستخرج فاعلمها.

---

(١) الإعجاز اللغوي والبياني فى القرآن الكريم لعلي بن نايف الشحود (ج١/ص٣٣٢).

(٢) خواطر الشعراوي (ج ٩/ص٤٣٥١).

القصص /42- الشورى

قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص - ٦٠)، بزيادة كلمة (وزينتها).

وقوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى- ٣٦)، بدون (وزينتها).

فى سورة القصص ذكر قصة خروج قارون في زينته فناسبها أن يأتي قبلها كلمة (زِينَتُهَا).

السجدة

الموضع الوحيد في القرآن الذي جاء فيه: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة – ٢٠).

الاســـم الموصـــول عائد على العذاب في هذا الموضع فقط في كتاب الله، أما في غيره (عذاب النار التي....) الضمير يعود على النار، أجارنا الله منها.

قلت والله أعلم:

إذا تتبعت ســـياق الآيات تجد أن مادة الفعل (ذاق) ورد في الســـورة بمشتقاته ٤ مرات (فذوقوا بما نسيتم/ وذوقوا عذاب الخلد/ ذوقوا عذاب النار/ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى..)، فناسبه والله أعلم أن يعود الاسم الموصول على العذاب.

الأحزاب

١- ورد في القرآن النداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ٩٠ مرة دائماً يكون أول الآية و لم يأت في وسط الآية إلا مرة واحدة في القرآن في موضع الأحزاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحزاب - ٥٦).

أرجع الى تفصيل ذلك في المبحث الأول بند (٢٦).

٢- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب - ٤٣).

وقوله في موضع آخر: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (الحديد- ٩):

الإجابة - والله أعلم - على سبب اختلاف السياق:

قوله تعالى: ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الأحزاب- ٤٣

أي من الضلالة إلى الهدى، ومعنى هذا التثبيت على الهداية.

أما قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (الحديد - ٩):

يريـــد القرآن، وقيـــل: المعجزات، أي ألزمكم الإيمان بمحمد (ﷺ)، لما معه من المعجزات، والقرآن أكبرهـــا وأعظمهـــا. ﴿لِّيُخۡرِجَكُم﴾ أي بـــالقرآن. وقيـــل: بالرســـول، وقيل: بالدعوة ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وهو الشرك والكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ وهو الإيمان﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

قلت والله أعلم:

الأولى في الأحزاب موجهة إلى من آمن بالفعل؛ لأنهم كانوا في وقت الخطاب على الهداية، وقد جاءت في ســـياق آيات تتضمن الحديث عن المؤمنين؛ ثم أخبر تعالى برحمته بالمؤمنين تأنيساً لهم فناســـبها أن تذيل بقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ وهما صفتان لله سبحانه تتناسب مع صلاة الله علي المؤمنين، ومعلوم أن صلاة الله على المؤمنين رحمة لهم.

أمـــا آية الحديد فهي- والله أعلم - خطاب عام، لذلك ذيلت بصـــفتين لله زيادة في الترغيب في الاســـتجابة لله سبحانه ونوعاً من زيادة الود والأنس وجاء بها أيضا أداة التوكيد (إن) فقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (الحديد - ٩).

الصافات

١- سميت سورة الذبيح وهي الوحيدة التي وصف فيها رب العزة سبحانه وتعالي نبيه إبراهيم عليه السلام في قصه الذبح فقال في حقه: ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ (الصافات - ٨٤).

إجابته:

والخلة هى المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب كما قيل، وهذا هو الســـر الذي لأجله والله أعلم أمر الخليل بذبح ولده وثمرة فؤاده وفلذة كبده؛ لأنه لما سأل الولد فأعطيه تعلقت به شـــعبة من قلبه، والخلة منصب لا يقبل الشركة والقسمة، فغار الخليل على

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج١٧/ص٢٣٩).

خليله أن يكون في قلبه موضـــع لغيره، فأمره بذبح الولد ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وطن نفسه على ذلك وعزم عليه عزماً جازماً حصل مقصود الأمر، فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة فحال بينه وبينه وفداه بالذبح العظيم، وقيل له: (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أي عملت عمل المحب، (إنا كنا كذلك نجزي المحســـنين) نجزي من بادر إلى طاعتنا فنقر عينه كما أقررنا عينك بامتثال أوامرنا وإبقاء الولد وسلامته إن هذا لهو البلاء المبين وهو اختبار المحبوب لمحبه وامتحانه إياه [(١)].

أي سليم القلب لله، وكما قيل (لن تصح لك عبودية حتي لا يبقي لغيره فيك بقية).

سورة الصافات /الذاريات

قوله: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات - ١٠١).

وقوله: ﴿..وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات - ٢٨):

وانتبه إلى هذه اللطيفة التي سمعتها في إحدى حلق القرآن، ولا أدري إن كانت نقلاً عن أهل العلم أم اجتهاداً من صاحب المقولة:

الأولى يقصد بها إسماعيل الذبيح والذي جاء من نسله شعب مصر ووصف بأنه حليم وشعب مصر يتصف بأنه صبور حمال للبلايا والشدائد.

الثانية يقصد بها إسحاق ومن ورائه يعقوب ومن ذريته بنو إسرائيل ووصف بأنه عليم وبني إسرائيل يتصفون بنوع من العلم قد يصل إلى الدهاء والمكر.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم، منزلة المحبة (ج٣/ص٣٠).

سورة ص

ذكر الله العزة بمشتقاتها خمس مرات في سورة (ص)، وجاء في خطاب إبليس:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص – ٨٢)

ولم تتكرر بهذا السياق في سائر القرآن، فهذه علامة فلا تنسها.

سورة الزمر/غافر

قوله: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾ (الزمر – ٧٣).

وقوله في غافر: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦ فَٱصْبِرْ...﴾ (غافر – ٧٧):

قلت والله أعلم:

حتى لا يتلبس الأمر على القارئ بين الموضعين:

لاحظ أن سياق الفعل في الزمر جاء – فعلاً مبنياً لمن لم يُسَمَّ فاعله (مبني للمجهول) – (قِيل / وَسِيق). أما في غافر فقد جاء الفعل – على صيغة الأمر – (ٱدْخُلُوٓا / فَٱصْبِر).

فهذه إشارة للتذكير فقط وليست بتأويل فاعلمها.

سورة الزخرف/الشرح

لاحظ أن بعض آيات القرآن توقف الذهن عندها كي تظل الأذهان دائماً مشغولة بكلمات الله، ولو جاء القرآن بكلمات يســـهل على الفهم العادي إدراك معانيها لما تجددت معاني الكتاب العظيم في كل زمان، وكأن الحق قد قصـــد ذلك حتى يُثَبت الناس في كل العصور من إيمانهم ، وها هم أولاء بعض من الـــذين يحاولون الخوض في القرآن تســـاءلوا عن معنى قوله الحق: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ (الزخرف -

لقد تســـاءلوا عن معنى التكرار أنه: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾ وظن بعض السطحيين أنه قصد القول بأن هناك إلهاً في السماوات وإلهاً آخر في الأرض، و لم يفطنوا إلى أن المعنى المقصـــود هو: أنه إله يعبد في السماء ويعبد في الأرض، وهو صاحب الحكمة المطلقة في كل أفعاله وهو المحيط بكل كونه. وأن الحق إنما يريد بهذا القول أن يشغل الأذهان به.

ونقول أيضـــاً لهؤلاء الذين لم يفهموا المعنى: هناك قاعدة في اللغة تحدد النكرة وتحدد المعرفة؛ فعندما نقول: « جاءني الرجل » فهذا الرجل يكون معروفاً للقائل والسامع، ولكن عندما نقول: « جاءني رجل » فهذا غير معروف للســـامع وقد يكون معروفاً للقائل. وإذا قلنا: « جاءني رجل وأكرمت رجلاً »، فمعنى ذلك أن القائل يتحدث عن رجلين: أحدهما جاء، والآخر كان موضع التكريم، أما إن قال القائل: « جاءني رجل فأكرمت الرجل » فالحديث هنا عن رجل واحد.

إذن، فـــالنكرة إن أعيدت نكرة تكون مختلفة، والنكرة إن أعيدت معرفة تكون هي بعينها. وعندما قال الحق ســـبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الزخرف - ﴿٨٤﴾).

تصـــور البعض أن « إلهاً » نكرة، عندما أعيدت صـــارت غيرها، ولو كان الأمر كذلك لفسدت

الــدنيا، ولكن القاعدة الغالبة من العلماء عرفوا روح النص، وقال أهل العلم بالتوحيد: لا بد لنا أن نلتفت إلى أنه ســبحانه قال: { وَهُوَ الذي }، وكلمة « الذي » اسم موصول واحد يدلنا على أن الحق صــلته بالسماء وبالأرض واحدة، ولهذا نقول لمن وقفوا عند هذه الآية: لا تبحثوا عن النكرة المكررة بمعزل عن الاسم الموصول؛ لأن الاسم الموصول معرفة [1].ا.هــ.

قلت والله اعلم:-

قياسا على القاعدة نفسها في سورة الشرح: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ (الشرح- ۝٦).

هذا التكرار ليس بتكرار؛ لأن تنكير العســر وتعريف اليسر جعله عسراً واحداً ويسران ولذلك قال (ﷺ): (لن يغلب عسر يسرين) [2].

لذلك قال القائل:

لو أمسكت بالعسر وجعلت له كل قوة لبقائه لأفلت منك ورحل.

---

(١) من خواطر الشعراوي (ج٢١/ص١٣٩٦٠).

(٢) الموطأ (ج١/ص٣٥٢).

سورة محمد

قلت والله أعلم:

١- تأمل في سياق الآيات الثلاث الآتية من سورة محمد:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ (محمد - ٩).

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (محمد - ٢٦).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ (محمد - ٢٨):

وانتبه إلى تكرار قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ....﴾ عدة مرات ولاحظ أن الضمير فيها عائد على الكفار، وتأمل الترتيب الذي جاءت به الآيات والذى يوضح تدرج حال الكفار من الفعل القلبي (كَرِهُوا) ثم الفعل القولي (قَالُوا)، ثم في الموضع الثالث اجتماع كل من فعل الجوارح والقلب: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾.

وعادة ما تكون هذه هى المراحل التى تمر بالإنسان حال عزمه القيام بعمل، فتبدأ بخاطرة في القلب ثم القول ثم الفعل.

٢- قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ

وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ....﴾ (محمد - ١٥).

تأمل في وصــــف كل نهر من هذه الأنهار الأربعة من أنهار الجنة، ستجد أن قرين كل منها صفة تميزها عن مســـــماها في الدنيا قال الله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا....﴾ (البقرة -٢٥).

ذلك لتعلم أن الماء واللبن والخمر والعسل الذي في الدنيا ليس كالذي في الجنة، بل كل ما في الجنة خلاف ما تعرفه في الدنيا ولا يتفقان إلا في المسمى[١].

سورة ق

قال سبحانه: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ ق - ٢٣

وقال بعدها ببضع آيات: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ٢٧﴾ بدون الواو، ذكر أبو بكر الجزائري في أيسر التفاسير أن هذه الواو هي واو الحال، وأن هذا قرينه من الملائكة؛ لذلك - والله أعلم -جاءت الواو لاتصال الكلام؛ حيث ذُكر قبلها القرين من الملائكة، وهو قوله: ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق- ١٨).

وذكر أيضا أن المقصود بالموضع الثاني قرينه من الشياطين- وهذا ابتداء كلام جديد غير متعلق بما

---

(١) ذكرها الشيخ صلاح صالح - حلقة القرآن بمسجد الخلفاء الراشدين-السادس من أكتوبر).

قبله، فلم يأت بالواو- والله أعلم بمراده(١).

سورة الحديد

١- ذكر سبحانه ملكية الظرف والمظروف:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الحديد - ١)

تحدث عن المظروف.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..﴾ (الحديد - ٢) تحدث عن الظرف.

وقد سبق أن أشرنا إلي ذلك في نهاية النور وبداية الفرقان – ارجع إليها مفصلة في سورة النور.

٢- لطيفة في سورة الحديد:

قولــه: ﴿..جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (الحديد - ١٢).

وقولــه: ﴿..جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التغابن - ٩).

حتى لا تتلبس على القارئ تذكر أن هذا هو الموضع الوحيد في القرآن - وذلك في سورة الحديد – الذي جاء بهذا السياق ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (الحديد - ٦).

فاذكر ذلك بقوله: ﴿..تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ

---

(١) أيسر التفاسير للجزائرى (ج٢/ص١٥١٥).

ٱلۡعَظِيمُ﴾ (الحديد - ﴿١٢﴾).

سورة المجادلة

١- ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (المجادلة - ﴿١٧﴾).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (التغابن - ﴿١٠﴾):

ما وجه التقديم والتأخير في قوله: ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ و﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؟

قلت والله أعلم:

في المجادلة إذا تتبعت الضمائر التي تشير إلى من يقصدهم الله في هذه الآيات (١٥-١٧) والموضحة **بلون** مختلف:

قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ســـتجد أن الكلام به تركيز علي هؤلاء الذين غَضِـــبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وهناك لفت نظر إليهم؛ حيث تكرر الضـــمير هم ١٢ مرة، فناسبه أن يكون تذييل الآية بتقديم الضمير هم وتقديم قوله: (فيها) وتأخير قوله: (خالدون).

أمـــا في التغابن فالآية (٩) قال فيها: ﴿... وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التغابن -٩) عبر بالحال (خَالِدِينَ) فناسب ذلك أن يقول أيضا بلسان الحال

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (التغابن- ١٠) والله أعلم بمراده سبحانه.

٢- كثيراً ما يقترن العلم بالعمل لذلك في قوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة-١١).

فأخَّرَ قوله: (خَبِير) وقدم (تَعْمَلُون)، لتقترن بما قبلها وهو العلم.

أما في الآية الأخرى: ﴿..وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة -١٣).

فقدم خبير لاقترانها بما ســـبق من أعمالٍ الله خبير بها: ﴿فأقيموا الصـــلاة وأتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله﴾، والله أعلم بمراده سبحانه.

سورة الحشر

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾.

جاء في الموضــع الأول: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾، وفى الموضع الثاني: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ بدون حرف (الواو)، قال القرطبي [1]: إن الإمام مالك قال: الأولى في بني النضــــير والثانية في بني قريظة والأولى كانت بلا قتال والثانية كانت بقتال، لذلك فإن الثانية منقطعة عما قبلها، فهي ابتداء كلام فلم تأت معها (الواو).

قلت والله أعلم:

ولذلك جاء ضمير – منهم – في الأولى (وما أفاء الله على رسوله منهم) والله أعلم.

مواضع على سبيل الحصر: الآية ١٩ من سورة المجادلة هى الموضع الوحيد في القرآن الذي ذكر فيه عدو الله إبليس في آية واحدة ثلاث مرات: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ

(١) الجامع لأحكام القرآن (ج١٨/ص١٤).

ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (المجادلة – ١٩).

سورة الجمعة

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (الجمعة – ٩):

﴿..وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ ذكر سبحانه البيع، ومعلوم أن التجارة بيع وشراء فذكر الشيء الذي يكون التاجر حريصاً عليه، فعادة ما يكون التاجر حريصاً علي أن يقوم ببيع السلعة لأن فيه المكسب، بخلاف الشراء لأنه يقوم بدفع المال فيه(١).

---

(١) من خواطر الشعراوي (ج /ص).

سورة المنافقون

الموضـــع الوحيد في القرآن الذي جاء فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾

(المنافقون -﴿٦﴾): وفي غيره (والله لا يهدي القوم الفاسقين).

قلت والله أعلم:

لاحظ أن هذا السياق وأداة التوكيد جاء مناسباً لاسم السورة ووصف حال المنافقين وبيان وتأكيد فسوقهم، وهذا على سبيل الحصر في القرآن.

سورة التغابن

*– ثلاث مواضـــع في القرآن أُمر فيها النَّبِيِّ (ﷺ) أن يقســـم بالله (سورة يونس /سورة سبأ/سورة التغابن).

ارجع إلى تفصيل ذلك في المبحث الأول بند (٣٢).

سورة التحريم

*–قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (التحريم – ﴿٧﴾): الوحيدة في القرآن بهذا السياق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

سورة المعارج

قول الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ (المعارج - ﴿٢٣﴾).

و قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج - ﴿٣٤﴾).

إن قيل قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ ثم: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قلنا: معنى دوامهم عليها أن لا يتركوها في شيء من الأوقات، ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يأتوا بها على أكمل الوجوه، وهذا الاهتمام إنما يحصل تارة بأمور سابقة على الصلاة وتارة بأمور لاحقة بها وتارة بأمور متراخية عنها، أما الأمور السابقة فهى أن يكون قبل دخول وقتها متعلقا القلب بها ومتعلق بالوضوء وستر العورة وطلب القِبلَة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين، والإتيان بالصلاة في الجماعة وفي المساجد؛ وأن يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات إلى ما سوى الله تعالى، وأن يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة، وأما الأمور المقارنة لها فهى أن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، وأن يكون حاضر القلب عند القراءة فاهماً للأذكار مطلعاً على حكم الصلاة، وأما الأمور المتراخية فهي أن لا يشتغل بعد إقامة الصلاة باللغو واللهو واللعب، وأن يحترز كل الاحتراز عن الإتيان بعدها بشيء من المعاصي[1].

سورة نوح

انظر إلى هذه المواضع الثلاثة في سورة نوح؛ وانتبه إلى الحكمة من هذا الترتيب...:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (نوح - ٥).

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ٢١﴾

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح - ٢٦).

قلت والله أعلم: إن هذا الترتيب هو التسلسل الطبيعي: دعوة نوح لقومه ثم استقبالهم للدعوة إما بالقبول أو الإعراض، ولكن اللافتة البلاغية الرائعة هى في الموضع الثالث الذي دعا فيه نوح على قومه نُوحٌ :﴿وَقَالَ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح -

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي –بتصريف(ج٣٠/ص١١٥).

(٢٦)). ووجه اقترانها بالواو وعدم اقتران الآية التي قبلها بالواو وذلك في قوله:﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا (٢١)﴾؟

الإجابة والله أعلم وهذه خاطرة مستوحاة مما جاء في التفسير: إن هذه الآية التي اقترنت بالواو: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح - (٢٦)).

جاءت مباشرة بعد قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ (نوح - (٢٥)).

وتذكر قول الله في سورة هود مخاطبًا نوح:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (٣٦) وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود – (٣٧))

أى أن– نوح والله أعلم– لم يقم بالدعاء على قومه إلا بعد إعلام الله له بأنهم مُغرَقون وهلكى لذلك جاءت مقترنة بالواو لارتباطها بما قبلها.

سورة الجن

ما الحكمة من قول الله سـبحانه: ﴿..فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن - ﴿٩﴾)، وذلك عقب قوله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن - ﴿١٠﴾). وذلك على لسان الجن.

قيل والله أعلم: أى: لا ندري أشرٌّ أُريد بأهل الأرض بسبب هذه الحراسة للسماء، أم أراد بهم ربهم رشداً، أى: خيراً. قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري أراد الله بهذا المنع أن يترل على أهل الأرض عذاباً، أو يرسل إليهم رسولاً [(١)].

وقيل في بعض التفاسير: أنه من أدب الجن أهم نسبوا الشر لمن لم يسم فاعله (أى مبنى للمجهول) ونسبوا الخير لله سبحانه.

سورة الإنسان

مسألة بشأن الأسرى: انظر البند ٤٠ في المبحث الأول.

سورة (الانشقاق /التين)

١-جاء في الانشـــقاق: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونِۭ﴾ الإنشـــقاق - ﴿٢٥﴾ بدون الفاء، وجاء في التين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين - ﴿٦﴾) مقترنة بالفاء.

الإجابة والله أعلم:

---

(١) فتح القدير للشوكاني (ج٧/ص٣٢٣).

في الانشقاق استثناء منقطع لأنه غير متصل بما قبله و لم يُشر إلي المقصودين بالحديث في الآيات قبله، أما في التين فالتقدير أن من أصابه العجز والكبر تُكتب أعمالهم فهو استثناء متصل، لذلك قال عكرمة: (من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر) [(١)].

١- قال السعدي: إن محل الرسالات الثلاثة ذُكر في سورة التين: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾: الشام، عيسى عليه السلام، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: مصر، موسى عليه السلام، - ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾: مكة، محمد (ﷺ)[(٢)].

سورة الأعلى

قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ (الأعلى - ٧). معلوم أن الإعجاز في علم الله بالسر وعلم ما يخفى، ولكن ما وجه الإعجاز في علم الجهر: تكلم فضيلة الإمام الشعراوي رحمه الله في هذا فذكر مثالا بمظاهرة في حشد من الناس بالآلاف وكل واحد يتكلم بكلمة، فهل يستطيع أحد أن يُرجع كل صوت إلي صاحبه وينسب كل كلمة إلى قائلها، لا يستطيع ذلك إلا الملك سبحانه، وهذا هو وجه الإعجاز[(٣)].

سورة الشمس

لقد أقسم الله أحد عشر قسماً متتالياً ما أتت إلا في موضع واحد في كتابه الكريم أن فلاح النفوس بتزكيتها، قال تعالى:

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ

---

(١) ابن جماعة (ج١/ص٣٧٥).

(٢) تفسير السعدى (ج١/ص٩٢).

(٣) تفسير الشعراوى (ج١٨/ص١٩٩٦).

إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس - ﴿٩﴾). وهي ركن ركين في دعوة نبينا (ﷺ)، بل هي ربع الرسـالة المحمدية، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة - ﴿١٥١﴾). انظر البند الأول في سورة البقرة.

سورة العلق

لطيفة مرتبطة بالسورة:

* إن ركعات الصـلاة تبدأ كل ركعة بالقراءة ثم تنتهي بالسجود، وما أشبه هذا بأول ما نزل من القرآن في سـورة العلق فبدأت بالقراءة، قال سـبحانه: (ٱقۡرَأۡ) (العلق - ﴿١﴾)، وانتهت السورة بالسجدة [١].

سورة التكاثر

دائما ما نستعمل عبارة (شُيع إلى مثواه الأخير) وهذا خطأ:

ارجع إلى المبحث الأول(بند ٣٦).

سورة الهمزة/الفيل /قريش

سر هذا الترتيب للسور: ارجع إلى المبحث الأول(بند ٣٧).

(١) سليمان الخراز صاحب حلقات: (كيف تتلذذ بالصلاة).

سورة الفلق / الناس

هناك قاعدة بلاغية تقول: (إن البناء على المستعاذ به أو العطف على المستعاذ به عدة مرات ثم ذِكر المستعاذ منه مرة واحدة، تدل على خطورة المستعاذ منه).

لقد ذُكر اسم المستعاذ به وهو لفظ الجلالة ثلاث مرات في سورة الناس، وذلك بصيغ مختلفة (رب الناس/ملك الناس/إله الناس) والمستعاذ منه ذكر مرة (الوسواس) وفي الفلق ذكر لفظ الجلالة مرة والمستعاذ منه أربعة أشياء، ومعلوم أن مراد الشيطان بوسوسته لابن آدم لا للمعصية ولكن سعيه معك للكفر ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ..﴾ (الحشر -١٦).

وهذا خطر وضرر أكبر من أي إصابة في نفس أو مال أو حسد أو سحر.

تم بفضل الله ومنته

الثامن من شهر شعبان ١٤٣٤ هجرية

الموافق: شهر يوليو ٢٠١٣

الحفاظ علي العمل أهم من العمل

قال الحسن بن أبي الحسن: لقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سراً فيكون جهراً أبدا(١).

فإن الإقدام علي أى **عمل ســـهل ولكن الصعوبة في الحفاظ على هذا العمل من استيلاء النفس وطغيانها وحظ الناس وإفساد الشيطان للعمل.**

لذلك كان مطرف بن عبد الله يقول: إني لا أعجب ممن هلك كيف هلك، ولكني أعجب مما نجا كيف نجا(٢).

وقال بعضهم: (كل ما ظهر من عملى لا أعده، فالقلوب أضعف من أن تخلص والناس ينظرون).

ويقول **ابن القيم:** (وقد تستولى النفس على العمل الصالح.. فتصيره جنداً لها.. فتصول به وتطغى.. فترى العبد: أطوع ما يكون.. أزهد ما يكون.. وهو عن الله أبعد ما يكون).

فأســـأل الله العظيم إذا إذن سبحانه لهذا العمل أن يرى النور بفضله ومنته أن يجعله سبحانه صالحاً ولوجهه خالصاً، ويطهره من نصيب الشيطان والنفس ونصيب الناس، اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم.

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج٧/ص ٢٢٤).

(٢) إحياء علوم الدين، ومعه تخريج الحافظ العراقى لأبى حامد الغزالى (ج٦/ص١٠٩).

كلمة هامة لكل طالب علم

قدر الله أن تكون السطور الأخيرة في هذا العمل في مساء أحد الأيام الدامية التى تشهدها مصر، والكل منشغل بها ولم أجد من أعرض عليه هذا العمل للمراجعة الفنية المتخصصة، وحق لهم ذلك فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

ولكن كان لى ســـنة في الإنكباب على هذا العمل في ظل هذه الظروف الدامية، فأين هذه الظروف من أهوال يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج – ٢).

وقد قال الرســـول (ﷺ) في الحديث الذي رواه أنس بن مالك (إذا قامت الســـاعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها) رواه البخارى.

وقد قيل أن المقصود بها الدعوة والله أعلم، وأيضا قول النَّبِيِّ (ﷺ): (عبادة في الهرج كهجرة إليّ).

الذي على المســـلم إذا وجد مثل هذه العلامة من علامات قرب الساعة أن يلزم العبادة وليترك القيل والقال؛ لأنه قد يكون له يد في مثل هذه الموبقة العظيمة التى هى القتل ويترك القيل والقال ويقبل على العبادات الخاصة والنفع المتعدي بقدر المستطاع[١].

و روي أيضا من حديث معقل بن يسار مرفُوعاً: (العبادة في الهرج كهجرة إلى)، أخرجه مسلم، وذكر صاحب المحكم للهرج معاني أخرى ومجموعها تسعة: شدة القتل، وكثرة القتل، والاختلاط، والفتنة في آخر الزمـــان، وكثرة النكاح، وكثرة الكذب، وكثرة النوم، وما يرى في النوم: غير منضـــبط، وعدم الإتقان للشيء[٢].

---

(١) شرح كتاب الفتن للبخاري: الدكتور عبد الكريم الخضير (ج١/ص٤٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج١٣/ص١٩).

خاتمة

جزي الله خيراً كل من ساهم في هذا العمل ولا يفوتني ذكر صديقنا وأخونا الشيخ /أحمد عريف من محافظة كفر الشيخ الذي قام بالكثير من أعمال الضبط اللغوي والبلاغي وأفادني فائدة جامة في الكثير من المسائل في هذا البحث وآخرون آثروا عدم ذكرهم الله يعلمهم وجزاهم الله جميعاُ خير الجزاء.

والله ولي التوفيق.

المراجع

أولاً كتب التفاسير:

١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار الكتب المصرية الطبة الثانية: ١٣٨٤هـ.

٢- أيسر التفاسير لأبى بكر الجزائرى - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة:١٤٣٢ ه.

٣- التحرير والتنوير لابن عاشور: الدار التونسية للنشر - تونس: ١٤٠٦ ه.

٤- لطائف الإشارات للقشيري: الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥- مدارك التزيل وحقائق التأويل لأبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى (المتوفى: ٧١٠هـ)

٦- خواطر الشعراوي

٧- تفسير جزء عم للشعراوى –اصدار دار الراية للنشر والتوزيع:١٤٢٩ ه.

٨- روح البيان لإسماعيل حقى الإستانبولى - دار إحياء التراث العربى

٩- تفسير الإمام فخرالرازى المسمى (مفاتيح الغيب): دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ

١٠ التقسير القرآنى للقرآن د/عبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي - القاهرة

١١- تفسير ابن كثير - دار القلم: طبعة أولي — بيروت -

١٢- جامع البيان للطبرى - تحقيق: أحمد محمد شاكر:الناشر: مؤسسة الرسالة:١٤٢٠ ه.

١٣- إيجاز البيان عن معانى القرآن - بيان الحق محمود بن أبي الحسن النيسابورى الغزنوى - دار الغرب الإسلامى:بيروت ١٤١٥ ه.

١٤- التفسير الوسيط للزحيلى - د وهبة بن مصطفى الزحيلي - دار الفكر - دمشق - ١٤٢٢هـ.

١٥- تفسير السلمى وهو حقائق التفسير - أبوعبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدى السلمى - دار الكتب العلمية:بيروت- سنة النشر: ١٤٢١هـ.

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: مؤسسة الرسالة: ١٤٢٠ ه.

١٧- تفسير التسترى لأبو محمد سهل بن عبد الله التسترى: دارالكتب العلمية ـــــ بيروت ١٤٢٣ هـــ.

١٧- التفسير الحديث: محمد عزت دروزة: دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٨٣ هـــ.

ثانيًا كتب السنة:-

١- صحيح البخارى

٢- صحيح مسلم

٣- شرح كتاب الفتن من صحيح البخارى: الشيخ الدكتورعبد الكريم الخضير

٤- فتح الباري لشرح صحيح البخارى:دار المعرفة بيروت ١٣٧٩ ه.

٥- الأدب المفرد بأحكام الألبانى - دار البشائر الإسلامية - بيروت-الطبعة الثالثة ١٤٠٩ه.

٦- سنن ابن ماجه

٧- السنن الكبرى للنسائى

٨- سنن ابن ماجه

٩- موطأ الإمام مالك: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان: الطبعة: الاولى ١٤٢٥ ه.

١٠- مُصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ ـــ ٢٣٥ هـــ)

ثالثًا:- كُتُب المتشابهات القرآنية

١- مِلاك التأويل لابن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي: دار الكتب العلمية ـــ بيروت

٢- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية- نعمة الله بن محمود نعمة الله النخجواني —دار ركابى للنشر:مصر ١٤٢٤ ه.

٣- جامع لطائف التفسير لعبد الرحمن بن محمد القماش: إمام وخطيب بدولة الإمارات العربية

٤- لمسات بيانية للدكتور فاضل صالح السامرائى-أستاذ النحو في جامعة الشارقة

٥- كشف المعانى في المتشابه من المثانى لشيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة - (المتوفى ٧٣٣ هـــ):

دار الوفاء ــ المنصورة:الطبعة الأولى:١٤١٠هــ / ١٩٩٠م
٦- أسرار التكرار في القرآن - محمود بن حمزة بن نصر الكرماني — دار الاعتصام — القاهرة:الطبعة الثانية، ١٣٩٦ه.: تحقيق: عبد القادر احمد عطا
٧- البرهان في توجيه متشابه القرآن - محمود بن حمزة بن نصر الكرماني:مركز الكتاب للنشر ١٤١٩ هـ.
٨- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم لعلي بن نايف الشحود: باحث في القرآن والسنة

رابعًا كتب ومراجع عامة:

١- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.
٢- كتاب كيف أتوب للشيخ محمد حسين يعقوب — دار التقوى للنشر والتوزيع
٣- فقه الأسماء الحسنى للدكتور عبد الرزاق البدر — فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.
٤- مدارج السالكين لابن القيم — طبعة دار الحديث —القاهرة.
٥- مجموعة خطب العلم للدكتور راغب السرجاني.
٦- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - دار الحديث - القاهرة
٧ - كتاب حلية طالب القرآن أبو عبد الله بن مختار بن أبو شادى: مدير معهد الرحمة الأزهرى
٨- معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية لعمر رضا كحالة: دار إحياء التراث العربي بيروت
٩- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هــ) - مكتبة ابن تيمية - القاهرة
١٠- الفوائد: ابن القيم الجوزية: دار الكتب العلمية — بيروت:الطبعة الثانية: ١٣٩٣ ه.
١١- طريق الهجرتين - ابن قيم الجوزية: دار ابن القيم — الدمام: لطبعة الثانية، ١٤١٤ ه.
١٢- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: حمد بن الحسين البيهقي: دار الآفاق الجديدة — بيروت: الطبعة الأولى — ١٤٠١
١٣- القاموس القويم

١٤ – المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين الأبشيهى
١٥- هدية القارئ إلى تجويد كلام البارئ لعبد الفتاح المرصفى
١٦- إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقى لأبى حامد الغزالى

فهرس المحتويات

لماذا كان هذا البحث..؟

كان المصطفى(ﷺ) يقرأ سورة (قـ) على المنبر فيستمع إليها الصحب الأخيار فيفهمون معناه ولغته وفصاحة لسانه، فتقشعر جلودهم وتهتز قلوبهم لسحر بيانه، فيكفيهم ذلك موعظة فترةً من الزمان.

أما حال تلكم اللغة الباسلة الآن مع أبنائنا فيندى لها الجبين خجلاً؛ فمع الدعوة إلى إحلال العامية مكان هذه اللغة العظيمة ودخول بعض المصطلحات المبتذلة في اللغة، حيث أصبحنا كالأعاجم؛ فقد يُقرأ علينا القرآن كاملاً فلا يتحرك لنا ساكن، إلا من رحم ربى، ولكن المصاب فينا لا في تراثنا.

وإذا ما وصلنا إلى بدايات العصر الحديث فقد كثرت الهجمات على اللغة، متمثلة في الدعوة إلى إحلال العامية مكان الفصحى، لغة القرآن، تلك اللغة التى تجمع شتات المسلمين، وبها يفهمون دينهم، لذلك إذا سمعت أحدًا يتكلم غير لغته – من غير ضرورة – أو يلهَج غير لهجته من غير مناسبة، فلا يخامرنَّك شكٌّ في أنه كذلك في خُلُقِهِ وعقيدته، ونمط فكره، وأسلوب عمله، وهذا ما يُسمى بالعبودية الأدبية.

لذلك كثر بعد القرون الخيرية الأُوَلى مثل هذه الكتب التى بين يدىْ القارئ الكريم الآن والتى تبحث في علوم القرآن، وقد كان ذلك من دوافع قيامى بجمع مادة هذا الكتاب من كتب التفاسير والمتشابهات، لنلقى الضوء – ولو بإسهام بسيط – على أصدق الكتب كلامًا وأحسنها نظامًا، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإن كانت لغة الكلام تقفُ على لسانى خجلى والقلم يرتعد بين أناملى وأنا أسطر كلمات هذا البحث؛ فقد قيل: الإنسان في سعة، وفي سلامة، من أفواه جنسه، ما لم يصنِّف كتاباً، أو يقل شعراً. ويقال: من ألَّف، فقد استشرف؛ أي: مد عنقه للمدح أو الذم، فإن أحسن، فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف. فما كان من توفيق فإنما هو منهُ منةٌ سبحانه، وما كان من زلل فمن نفسى والشيطان.